

ابراهيم عبد المجيد

ابراهيم عبد المجيد

الصيد واليمام

رواية



دار المستقبل العربي



دار المستقبل العربي



قبل العربي

ابراهيم عبد المجيد

○ ○ • الإسكندرية ، مدينة تقع على الساحل الشمالي لمصر . بناها
الإسكندر المقدوني وأعطاهما اسمه . وهي بموقعها الجميل ، مصيف كبير •

لم يفكر أن بالإسكندرية أروسة وقطارات . وفي أيام يؤس النالية ، كثيراً
ما كان يضحك حين يتذكر كيف سأل تلميذ المدرس • أين- كان يصطلف
الناس لو لم بين الإسكندر الإسكندرية ؟ •

لم يكن قد رأى هذه المدينة ، ولا كان يعلم أن يراها . فقط يتكرر اسمها
في كتابي التاريخ والجغرافيا . ووحدة ، من بين الأسماء العديدة للمدُن والأقطار ،
كان له وقع خاص على سمعه ، وتأثير غير مفهوم على عينيه . مرة يقول أن جرسه
جميل ، وحروفه الكثيرة ملفنة للنظر . ومرة أنها من بين كثير من المدن تنطق
مسيوقة بالألف واللام . هكذا هي دائماً في الكتب والأذاعات ، فهي مدينة
تختلف بالتأكيد عن غيرها . وشيء يقال كأنه معروف من أول الزمان . وهي ،
وإن شابهتها بعض المدن أو الدول في ارتباط اسمها بالألف واللام ، فرسم

الاسكندرية أو جرسها ، متفرد كشجرة وحيدة في صحراء واسعة من زمال أو صحور . لكنه وقد سمع الجميع ينطقونها « اسكندرية » في حديثهم اليومي ، بعد أن دخلها من بابها الواسع الذي يدخله الغرباء كل يوم ، فكر كيف ينطقون اسمها بالإجمال . أبى عداوة تقوم بين الناس والمدينة ، أو أبى عمة تلك التي تنتهي بعدم تكرارها ؟ .

لم يكن مهتماً بأن يجد أسم المدينة في بقية الكتب ، فقد كان يذاكر جيداً ! لكنه رسب ثلاث مرات متوالية فقال أبوه كأنه يتعصب .

— لا أستطيع أن أعيد قبلك مرة أخرى . عشرة جنابات لا أملكها مرتين في عامين ، اجعل معي .

رأى أباه بنام فوق الحلم بأن يراه ناجحاً في الإعدادية فترك كفر الزيات ، فناجحاً في التوجيهية فيغادر طنطا ، ثم ناجحاً في الجامعة فيعود من القاهرة شيئاً كبيراً . أما هو فلم يكن يحلم . كان يشعر دائماً أنه وحيد يعيش في الغراء . وأحس أنه خذل الرجل الذي كان سيدبر الفقد — لو نجح — من دمه . أوشك أن يقبل يديه عبة حين أعلنه بالعمل الذي يكرهه !



— منتقل إلى الاسكندرية .

قال أبوه مهدوماً في مساء اليوم التالي أنه رأى أمه تصمت طويلاً . سمع المطر الثقيل البطيء يسقط فوق السطح ، وأطال أبوه صلاة العشاء .

— هناك سكن لنا ؟

قالت الأم وما فرغ الأب من صلاته . سلم وقال في انقضاب . — سكن المصلحة .

كانت ثياب أبيه في تلك الليلة أكثر اتساعاً . علق بها مازوت كثير . وكذلك كانت يداها التي لم يملح « الجاز » في تنظيفها تماماً ، والتي كثيراً ما قلبها أمامه داعياً أبيه أن يتجهد لينجح حتى لا يصبح « عسكري ديسة » ، فلا ذنب له كي يملع القطنان القديمة ويترك الجديدة ، أو يعمل الفنكات الخشبية والحديدية الثقيلة ويحفر أرضاً هجئة ، أو يخرج في قلب ليلال الشتاء لإصلاح ماينجم عن الحوادث الطارئة في وقت توجب فيه نوع الملاكمة والشياطين . وكان مثل أبيه يكره ذلك . يكره أكثر « سكن المصلحة » الذي يعيش فيه عمال المدرسة . فهو بعيد عن القرية . عن المدرسة . عن المدينة . عن كل شيء . بيوته العشرة يضمها الخوف الليل ومن بعيد تخيف ! . تقبع فيها همس النهار وتبدو قد نساها الدهر ! وفي كل الأحوال يبدو « السكن » شيئاً سقط من قطار سريع ولم يسأل عنه أحد .

أعادت أمه السؤال كأنها لم تسمع . أعاد أبوه الإجابة كأنه لم يقل . قال المدرس وقالت الكتب أن الاسكندرية مدينة جميلة . لابد إذن أن سكن المصلحة بها تختلف . سيكون بعيداً عن القطارات العابرة فلن يتفرج عليهم أحد . لن تثير عجلات القطار غباراً تنده فوقهم . لن يخرج الأطفال الحفاة ليقتفوا القطارات بالحجارة ، سيكون الأطفال مثلما كان يدركون من كثرة القطارات واختلاف وجوه ركابها ، أن الدنيا واسعة ، وربما لا نهاية لها ، بل أكبر من الكرة الأرضية ولا تدور في فراغ مثلها !!

لم يستطع أن يعلن لأبيه أن الاسكندرية لن تكون قاسية . إنه يحبه . حين دخل مدرسة القرية ، التي تبعد ثلاثة أميال بمشيئهما مرتين كل يوم ، عرف أن

أباه عظيم لأنه الذي ركب، وفرد القضبان الطويلة، التي يمشي بنها وفوقها كل هذه المسافة. حين التحق بالمدرسة الإعدادية رأى المركز. صارت المسافة خمسة أميال. صار يجب أباه أكثر فهو مسكين ليحمل كل هذا العمل، ولا يجب أن تترك أمه الدجاج يروح في الحجرة فيقلق نومه، خاصة وأنه كثيراً ما تصعد دجاجة إلى صدر أبيه وتقر عينه فينبض، ولا يستطيع النوم مرة ثانية. وحين رأى المدينة لأول مرة، وكانت مدينة منطفاً، خلال رحلة مدرسية، ركب القطار وزار السيد البدي. صل مع زملائه وعاد يفكر، أن رجالاً مثل أبيه لابد قصار العمر. لكنه أيضاً فكر لماذا حين يذكرون «القرية» في كتب المدرسة، يقولون بعدها «المدينة» ولا يأتي ذكر «المركز»؟ لم يكن قد رأى في منطفاً مصانع ولا مدائن مثل التي في كفر الزيات. تساءل كثيراً حتى أدمن التساؤل. صار يحدث به نفسه بصوت مسموع ففاجأه المدرس.

— لماذا تحدثت أثناء الدرس؟
أرتبك. تعلم ثم أنطلق يسأل فقال المدرس دون تردد كأنما أنتظر السؤال.

— دائماً يا ولدي لا قيمة للأشياء النصف النصف. جعل يحاول أن يفهم حتى رأى العرق يقطر فوق جبين المدرس الذي جعل يتراجع قليلاً قليلاً حتى جلس إلى مكتبه شبه منهار ثم أشعل سيجارة بيد مرتعشة، وأخذ نفساً عميقاً وغطأ رأسه، ولما زفر مع صوته، وخرج الدخان قوياً متناسكاً اصطلمه بالمكتب، فبعثر في شكل دائرة واسعة. ظل هو واقفاً لا يستطيع الجلوس. أحس أن الفصل صار قارباً ولم يبد به غيـو والمدرس الذي وضع السيجارة بين شفتيه، ثم أحاط رأسه بكفيه، واستغرق في النظر إلى مكتبه قليلاً، وسرعان ما خرج معلناً أنه لا درس اليوم.

معنا رأى أباه ينام. بات هو يفكر في القسوة والجمال! لن يفهم أبوه ما تقولوه الكتب عن الاسكندنافية. عند الفجر تمب. ما كاد ينام حتى شق المطر

الذي توحد بالليل صوت صراخ كهفي.

○ ○ — نخدي ملك أصطاد ...

جذبت الطفل بعيداً. أحضرت بلوفر.

— أرتداه تحت الجاكت.

أرتداه في حفرة. ناولته الجاكت الكاكي البظن. أرتداه في حفرة أيضاً.

— أنت متوتر.

تناول البندقية الخفيفة بطريقة تؤكد أنه سيقتل أحداً.

— ألا تقنع عن صيد الأيام؟

نظر إليها بحدة ودهشة. أغمضت عينيها.

— أما أن لك أن تكنتي؟!

— خمسة عشر عاماً تصطاد الأيام؟!

— ألك تأكلين مما أصطاد ..

لم يفهم، ربما لأكثر من ألف مرة، كيف تنظر إليه، وكما يحدث كل

يوم، أرادت أن تقول شيئاً فخرج شيء آخر.

— لكنك مريض.

واقترعت منه. سعل خفيفاً ثم بقوة. ترك البندقية والثفت يصق بعداً

عنها. لاولته كوب ماء

— اشرب.

أشاح بذرعه. وضعت الكوب فوق كوميدينو. لم تستطع أن تمنع

الدمعتين. استدار. احكم الجاكت. علق بخلاته حول كفه. أمسك بالبندقية

من جديد. غادر الحجرة بخطوات ثابتة مثل إله.

— نخدي ملك أصطاد.

مع الصوت وهو يعبر الصلاة . مع الطفل يبكي فعرف أنها تنهه .

لحقت به عند الباب

— متى ستعود ؟

أول مرة تسأله ذلك .

— اليوم طبعاً

قالا بقور . لكنه استدار . إنه إنسان طيب يتأمل عينها الدامعتين كل

يوم .

— خمس سنوات ولا صيد ومازلت تخرج . اليوم برد شديد ؟ .

— لا تلتفتي شيئاً .

ربت على كفها . استدار ثانية . فتح الباب . أغلقه لأول مرة بنفسه . قال بعد أن غادر البيت « الحمقاء تقول أنني لا أصطاد » . فكر أن الحمافة كثيراً ماتت عن قلب وديع . أحس أنه يمكن أن يقترب منها . أن يعود بهاء الأيام الأولى . آه لو يفهم ماذا ياعد بينهما . بسرعة وجد نفسه قد وصل إلى منطقة الصيد . لاحظ أنه لم ير في الطريق أحداً . لم يقابله إلا وجه الريح .

حين تشابه الأيام في زمن ، لا يدرى الناس . وحين يفكرون يعرفون كم هو قبيح .

صورته لم تتغير كثيراً . اليوم والأبس . الشتاء والصيف . هذا العام والماضي . يده وعينه . بتدقيقه وحيات الرش الدقيقة البيضاء . المخلاة الكاكي . السروال الكاكي . الجاكت الكاكي . الحذاء الأسود الثقيل ذو الرقة فوق السروال . الأنف الرفيع عالي العظمة . العينان الغائرتان ولهاثة السوداء حول كليهما . نظراته الفاحصة للسقف المغطى لنصف الرصيف . البناء المرتفع عن الأرض بين القضبان . العريض عشرين متراً . الطويل ألف متر . بلاهله أسود مربع

واسع . الفجوات قنوات بين البلاط تستقر فيها حبات القمح ، الأذرة ، الشعير ، القبول . العمال الصاعدة حاملون . دائماً حاملون . سقف الرصيف عال . رمادي قائم . بنى متآكل . مائل إلى الجانبين . الواح الصالح التي يتكون منها كبيرة ومتعرجة . ثغوب كثيرة تتخللها . في الصيف تنقل منها الأشعة فتفترش الرصيف يبقع شواهد من الضوء . في الشتاء فراق . الرصيف يكاد يدخل جوف الأرض . الشمس تستكين في جوف السماء . تغطي الأرض ظهرها ! . العوارض الحديدية الممتدة تحت السقف تحمله . تستند على الأعمدة الضخمة على الجانبين . الأعشاش الصغيرة فوق الأعمدة كثيرة . تحت الألواح وبين العوارض أكثر . لكنها أعشاش عصافير ! على جانبي الرصيف عربات السكة الحديد المحملة والفارغة . المسطحة ينقلون فوقها الدبابات والمدافع ويخرج الجنود . المغلفة ينقلون بها الغلال . النصف مغلفة ينقلون عليها أجولة البصل والثوم والبطاطس وحزم القصب . أبواب مغلفة وأبواب مفتوحة . الظلام داخل العربات الفارغة والنور حولها . صوت وقع القدم داخل العربة عريض رنان . القدم مرعقة . صوت أصطدام قطرات البول بأرض العربة الحديدية يرتاح إليه . الآن لا يشعر برغبة في التبول . الوقت مازال مبكراً . لكن برد اليوم يخطف رغم أن الشتاء الطويل يأتي كل عام . إنه يعرف ذلك ولا يستغرب له . من سبق أن استغرب للدوران الستين ؟ . لكن اليوم لا أحد يقابله . لأعمل . الرصيف خال . الأوصاف الأخرى على الجانبين تيشو كذلك . العصافير القليلة تطير وهو لا يصطاد العصافير . لابد أن يجد الحمام . الوقت لا يزال مبكراً . يسمع خشخشة أوراق مهملات تطيرها الرياح فوق أرض الرصيف . لا يزال عينيته اللتين يمسح بهما السقف . أكثر من عشر سنوات يقتل الحمام . أكثر من عشر سنوات يرفع عينيته . خمس سنوات مؤامرة . لكن الحمام لن يستطيع أن يعضي فيها إلى الأبد . شيء ما في أعماقه يهتف بذلك . اليوم صيد وفير . اليوم بداية أو نهاية . ربما بعدة عظم بتدقيقه . يعتزل . يلقي بمحبات الرش إلى المرحاض .

يسمع عواء الرعب رغم أن الفضاء متسع ، والأرصعة مفتوحة الجوانب ، يرى عربات السكة الحديد الفارغة والمحملة على جانبي الرصيف كطابوري حزن . من بينها يرى عربات أخرى على الأرصفة المتوازية . لأزلال لأزلى أحداً . ربما حين غمر النور المدينة تغلق الناس بظيولهم الواهنة وصعدوا جميعاً إلى السماء وهو بعد نام مع زوجته . علمته العربات الصامت . علمه شتاء الاسكتلندية الحشوع . كيف يكون الفرح في شتاء دالي ؟ !

○ ○ في الأيام الباردة كان يفتح صدره للهواء . يستقل الأتوبيس من القيازي إلى محطة الرمل . يبدأ سيراً سريعاً على الكورنيش . وحين يخلو الطريق يجري . الهواء يكاد يطوي إلى الرصيف المقابل ، وهو يحب منتشياً كغرس امتلك زمام السهول الواسعة . ينظر إلى البحر المائج . يسمع صخب الموج فيسرع أكثر . يرتطم الموج بالصخور السوداء الضخمة الموزاة لسمور الكورنيش ويتجاوزها فيطوله أو ينسكب فوقه ، فيتناهى خوف الطفل الصغير تلقى أمه عليه الماء البارد لأول مرة . يضحك لأنه لا يجد أحداً يتعلق بكففيه . لا ينتقل إلى الطوار الآخر إلا بعد أن يصل إلى « سيدى جابر » . يعود أقل سرعة . غالباً ما يتهدى متسكماً . كثيراً ما يمر بيده على جدران المنازل الرطبة فيسقط بعض قشور من دهانها . أنفاسه تصبح منتظمة . يرى المقاهي التي ترحم مقاعدها الطوار بالصيف مغلقة . يمر بإزاحة كثيرة وملاذ فيستل إلى صوت موسيقى مخففة . يرى زحاما أمام مساحر الأفراح . لا ينقطع عن النظر إلى الأتربة العديدة التي تفتح أنوارها في بلاهة على شارع الكورنيش وتند إلى الجنوب خترة شارعى تانبس وطنية . يلمح أحياناً فتاة مصرعة . امرأة تحدث إلى شاب وتحاول أن تضم مظهرها الذي يطوي الهواء . رأى مرة أربعة شبان ميمعري الشعر يرتدون سراويل ضيقة ، يحيطون بأمرأة مقمية بين أرجلهم ، عارية تضم ساقها إلى صدرها وتلف ذراعها حولها وترجف وتضغط أسنانها تكاد تأكلها . كان المكان حولهم خراباً

تفرقت فوقها الحجارة وأكوام القمامة . ماكاد يقترب منهم حتى أنفث إليه الشبان الأربعة بلا مبالاة نشق باستغراب . أراد أن يقول شيئاً لكن عيونهم صارت شرسة . سمع صوت المرأة من بين سيقانهم مشروهاً باكياً . قالت « أمشى يابن الكلب » . بهذا أنه هو سبب عنتها . لم يفهم شيئاً فانصرف مكملاً سيره . مرة أخرى تأخر في العودة حتى كاد الليل ينتصف . كان قد جلس كثيراً على الشاطئ البارد . لم يكن في الجورج ، ولم يكن الموج هائجاً . تنشق رائحة اليد واتبع . فكر في المسكة التي في بطنها غائم سليمان . من يصطادها وكيف ستكون حياته ؟ . وفي عودته لم يفكر في شيء . وصل دون أن يدري إلى كلاب شيزار . بالقرب من كازينو المؤخرة الزرقاء شاهد امرأة تقف فوق الطوار المقابل وتمسك بيديها عمود النور وتضحك بصوت لا تسمعه الشقق التي يسير تحتها والمظلة فصل الشتاء . كانت عارية أيضاً . بدت تحت الضوء الأصفر لأمعة وشاحية . جعلت فجأة تصرخ بكلمات بذقنة ويختلط صوتها بصوت الموسيقى المنبعثة من الملهي الذي يجلس أمام بابها رجل سمين جداً . فكر أن يعبر الشارع إليها . لكن البحر المظلم خلفها بدا له وحشاً قديماً يتأهب وهو يسمع صوت موجه الهادى الوقور . يخاف أم يشفق ؟ . لم يعرف . ظلت تتلوى حول العمود وهو ينظر من الطوار الآخر . تقدم . فتحت ذراعها على اتساعها وفاجأته .

... تعال يا ابن القحية !. أخذوا هدموي وتركوني . وأنت ماذا ستأخذ ؟

وشخرت . كالت من الطوار الآخر تبدو جميلة وإن كانت منكوبة أهاجت أجزائه . حين أقرب رأى أن أسنانها ساقطة ، وشعرها أبيض أغبله ، وثديها طويلين ، وذراعها كمردى جريد . تركها وعاد أعفداً طريقه يفكر لماذا يكون شتاء الاسكتلندية قاسياً ؟ . وبلاحة صوت ضحكات الرجل السمين البشعة كأنها هي قادمة من تحت البحر ، فيشعر أنه أبله والبلاهة تنظم الكون .



كان حين يصل إلى محطة الرمل ينظر إلى تمثال سعد زغلول . يتعجب من شابه ١. يترك ساحة التمثال إلى موقف الأتوبيسات خلف الموقف يرى بعض النائمين وقد تدنروا بقطع عريضة من الكرتون وكميات من القش أو الحش . وكان كثيراً ما يتساءل كيف لا تطير ٢. ومن حول الجميع كانت تصعد رائحة البول والبراز الكثيفة . وتحمت المظلة لا يجد إلا قليلين يقفون متباعدين متوحدين مع البرد .

كان يتزوي في ركن . يحار نفسه مكاناً بعيداً أيضاً ويتنظر . ولا يدرى هل لأن الإنسان حيوان مجنون لا يمتحى على طريق إلا وغيرها ، أم لأنه يقدر ما يستسلم للملل يرغب في كسر نمط الحياة العادي ، أم لأسباب أخرى ، كان وهو تحت المظلة ، يراقب الرقاق القصير المجاور لمنشأة المعارف والمؤدي إلى شارع سعد زغلول . الرقاق يواجهه من بعيد . يتابع هو العدد القليل من المارة وهم يتدفعون داخله أو منه . البعض يحمل شمسية . البعض يقفز لغزات واسعة فوق المياه المناسبة لجوار الرصيف . وكثيراً ما أتت حافلتته ولم يقطن . المتدفعون إلى شارع سعد زغلول يتلهثمهم ظلام أو قم وحش واسع والقادمون لا يأتون إلى المظلة . لا يدخلون شارع العرقبة التجارية . لا يتجهون إلى موقف الترام القريب . لا يصعدون إلى السماء . يدخلون جميعاً الشارع الضيق المجاور للعرقبة التجارية على يسار الرقاق . تكرر ذلك في كل ليلة .

أوشك شتاء أن ينصرم فغادر المظلة متجهاً إلى هذا الشارع . لم يجد فيه غير بعض عربات يد مغطاه بالشمع الأبيض ومربوطة بحبال ولا يظهر ما تحمله . فيما بعد وفي وقت مبكر عن ذلك رأى فوق المرات تقاسم أحر وأجهزة كهربائية صخية .

لم يجد في الشارع أحداً ممن دخلوه وهو تحت المظلة . وقف قليلاً فلم يأت

أحد من شارع سعد زغلول ! لم يفكر في شيء غيف ١. فكرر أن الدنيا عانته كثيراً ، وسين فتح باب خشبي صغير وخرج منه عجوز جعل يمشي مرتكناً على جذران النازل ، لمح خلف الباب مقاعد ورجال وسحب دخان فدخل .

منذ تلك الليلة صار هذا البار قرار طقسه الشتوي على الكورنيش . وسرعان ما أطلع عن هذا الطقس . صار يخرج من منزله قاصداً البار . لم يندش حين دخل أول مرة ، ولم يجد أحداً يبدو عليه أنه قادم قبله مباشرة . لم يفكر في أين يذهب الناس الذين يدخلون الشارع قادمين من الرقاق القصير . لاحظ أنه بعد دخوله لم يدخل البار أحد . لاحظ ذلك فيما بعد وحتى اليوم . كان الجالسون متبئين حول الزجاجات القائمة وأطباق الترمس والخس والجبن وقطع الخبز . وتحمت سحائب دخان السجائر الأبيض والأزرق التي لا تلتصق بالسقف الملون ، ولا ترتاح على الناضد ، كان يسمح لثثرة غير مفهومة . وجد نفسه يقف مرتبكاً ، فاتجه إلى الجزء الداخلي من البار وجلس على متصلة بعيدة . أتاه الجرسون فصار أكثر ارتباكاً .

— يرو .

قال بسرعة كقفرة الأرب . لكن الجرسون الأرب الخنى حتى لا يسمعه أحد .
— أحضر لك كأس أيتان يدفك .

كان بالفعل يتخفى . لم يفهم أن الجرسون أراد أن يعلمه أن الخمر أنواع ، هز رأسه موافقاً . جرع كأس الأيتان بسرعة كما يشاهد في السينما حين يكون البطل مقدماً على جريمة . خرج بعد أن دفع الحساب الذي وجده قليلاً . لقد شرب خمسة كؤوس . صار دافئاً حقاً حتى أن الأمطار انقطعت . بلغت

البالوعات المياه الثقيلة . صارت الشوارع ترقق تحت الأثواء الشاحبة . ازدادت الناس وصارت تمشي في أنظمام وتضحك وتدوى ضحكاتها في الفضاء الرحب وأستندار سعد زغلول فوق قاعدة المثال ، وأعطى ظهيرة للبحر ، وألحى فارداً جسمه وشابهه وفراغيه فوق المدينة وأبتسم ، فتعجب كيف يقولون أن السكر « بدة » ! . وفي الأتوبيس شغله سقوط قطرات من المياه من أسفل السقف ، فصار يتابعها قطرة قطرة منذ أن تظهر وتبتدر وتكر حتى تلمجر وتسقط على أرض الطرقة التي بين صفحي المقاعد ، أدرك فجأة أن المראה التي كان يشعر بها في حلقة ، كانت بسبب عدم تناوله شيئاً من المزة . قرر أن لا ينسى ذلك فيما بعد ..

○ ○ في منتصف المسافة المغطاة من الرصيف توقف . منذ بدأ الصيد في هذه المنطقة ، كان بعد أن يقطع الرصيف كله ، يعود في الاتجاه المعاكس على الرصيف الجاور . يصل الى نقطة البداية مرة أخرى حيث يتصل الرصيفان عبر مربع متسع من الأرض الخالية . في وسط هذا المربع يجلس عند كشك الشاي . تقدم له « قمر » السمرات ، الشاي الذي يحبه . يكون قد أصطاد بعضاً من الحمام . كثيراً ما اشترت منه يمامة أو اثنتين . واليوم يشعر بحاجة شديدة لشرب الشاي وهو بعد لم ينته من الرصيف . قال لابد أن الوقت يمر سريعاً . إنه يفحص السقف جيداً . يدرك أن المسافة التي قطعها صغير . يشاهد العصفائر القليلة ولا يرى الحمام . لا تكف المرح عن الصخب . يتعجب من نفسه كيف يسير دائماً رافعاً البندقية وكأنه سيجد الحمام على غرة . أو ربما في كل وقت ! . كيف أمضى السنين الطويلة رافعاً عينيه وبندقيته مستعداً للتصويب في أى لحظة ؟ أى يقين بالفوز ؟ ربما إحساس بأن الفرصة لا تتكرر . يخفض البندقية ويمشي مهلاً . صوت الأوراق التي تدرجها الريح لا يبعد عنه . صوت اهتزاز

الروح الناصج المهترئة بالسقف . هذه الأوصفة قديمة جداً . الرصيف الذي يمشي فوقه الآن لا شك أقدمها . أنهم يسمونه رصيف « الباشا » . وهو الوحيد الذي يمتشي بإسمه الى شخص لعله أول من أقام الأوصفة . ان أحداً لا يعرف من هو . لكن لابد أنه « باشا » فوق كل « الباشوات » . ربما يكون الخديوي إسماعيل نفسه الذي دخلت السكة الحديد في عهده . لكن هذا لا يعنيه كثيراً . أنه يقف بفتة . تماماً كمن تذكر شيئاً أجيد في تذكره ولم يفعل ، وحين يدا أنه نسيه ، فقرر إلى ذهنه في وقت لم يستعد له إنه لم ير كشك الشاي ولا « قمر » السمرات صاحبة حين بدأ جولته منذ قليل . لم يمر بهما رغم أنهما في بداية الرصيف . وهو لإبرهما الآن حقاً . الرصيف الممتد أمامه مسجماً خالياً ، يلحهم عند بدايته بالأرض المتسعة الخالية الآن من كل شيء . بالنسب كانا موجودين . المرأة السمرات التي بدت توقفت عند سن الأربعين منذ خمسة عشر عاماً قالت له أمس فقط « لماذا تنظر إلى » بعد خمس عشرة سنة أدركت أنه ينظر إليها أو أحست بنظرته . وبعد هذه السنين الطويلة أدرك أنه لإفهم معنى نظراته . ضحك . قالت .

- أحبك يا صياد الحمام . هل تعرف ؟
- ضحك أكثر . قالت .
- السمت متزوجاً ؟
- استمر يضحك . قالت .
- انني جادة . أن الآوان أن تفسر لي نظراتك .
- لم يستطع . قالت .
- كنت أنا أيضاً أنظر اليك لكنك لا ترى .
- أحمر وجهه . كان بالفعل لا يرى .
- قالت .
- أنت لا ترى إلا ماتريد . الحمام .

ووجدوها جادة . تحرك في وجدانه قناع جيل . ماذا يقول . كيف يفسر نظراته التي لا يفهمها . يذكر فقط أول مرة رأيها وفكر أن المشقة واسعة . والكشك صغير . رواده عمال وجند يتفرون . و ه قمر ه السمراء تنقف وسط البرد تبدو لا تعرف من الدنيا إلا هذا المكان . لم يفكر أبعد من هذا . وظل ينظر إليها . مبراة ذات عيين عسلتين ، لم يعرف على طول السنين لها زوجاً أو ولداً . تعد الشاي بنفسها وتقدمه لزيائنها وتجمع التقود تضعها فوق صدرها دون أن تنظر إليها . وصدرها المرتفع في وجهه لا يؤثر فيه رغبة . لكنه يرد لو تام فوقه . لو ارتاح . آه . الراحة على صدر امرأة خصبة . لكن كيف وهي بلا أصل أو فروع . الحنان الذي ضاع . القسوة المعلقة فوق رأسه ، تلهيه بسوطها الناري .



بعد الصراخ الكهفي جاء عمه . لقد مات أبوه وولدت أمه . عفرت وجهها بالتراب . حملت الطين فوق رأسها . لطخت به ثيابها ، ووقفت أمام الباب . قالوا جئت ، وأنها تقضي في رحلة مجهولة . رأى عمه يصنع الشاي مثل أبيه . يشربه مثله . وكذلك يلدن السجائر ويلفها . وجمعه كثيراً يقول لأمه ه ليس لكما غير بيتي ه .
— اتلكنين أول مرة قابلتك فيها ؟
تسكت . يعلو وجهها وجوم . يستطرد أبوه .
— لقد ظننتك جنية .

تعلو وجهها صفرة . يرى كأن دخاناً أبيض شفيفاً يخرج من بين شفها . يربت أبوه على ظهرها . يضم رأسها إلى صدره . يتمتع ببعض أذعية وآيات . يقبل رأس الأم .
— أنصرف بسلام !

بخطاب يوداعة شيئاً مجهولاً . وسرعان ما يعود الدم إلى وجه الأم . تنهض ثقيلة وهي التحيلة . تنشغل في شيء من أمور البيت تفعل ذلك شاردة العينين . بعد قليل تعود خفيفة الحركة .
— أنصرف والحمد لله ؟

يقول الأب . تقول ه أنصرف والحمد لله ه . يظل هو لا يفهم . وحين فهم لم يعلق . لكنها بعد أن اختفت تسأل وهو يركى ه هل يمكن أن يتزوج انسى من جنى ؟ ه . وهل حقاً حين رأى أبوه أمه أول مرة كانت جالسة على حافة ترعة في منتصف الليل عارية ورجلاها في الماء ؟ ه . لو كان هذا فأى عذاب عرفته أمه ولا يلداع . والأب الطيب يعتقد أنها جنية خرجت له من الماء .

وفي أقصى الصعيد حيث اخذهما عمه قال .
— نذهب إلى أسوان .
لم ترد . كانت الفشة تأخذها كثيراً .
— هناك مشروع المد والعمل كثير .

لم ترد . لاحظ كثيراً ضيق عمه الذي يقطع الأحجار من الجبل . وكانت أمه تنظر إليه كشىء تراه لأول مرة ، أو لن تراه إلى الأبد ، فحرف انها لا تريد أن يتركها لكن الرجل ظل يرأوده .

صار عمه كثير الشجار مع زوجته . يضرب أطفاله بقسوة . ثم طرد الزوجة والأطفال ، وقال له أن يصحبهم إلى أهل زوجته في قرية أبيس بأقصى الشمال ، فأذعن . لكنه تركهم القطار وعاد من فورهم ، لأنه كان قد رأى أمه تنظر إلى عمه نظرة طالت أكثر مما ينبغي . فاجأه عمه .
— اختر لك غرفة وطم بها . لقد صرت رجلاً .

قالها بجفاء . لم يفهم عمه الفقير أنه لا ينام مع أمه إلا لأنه اعتاد ذلك ، فسكن المصلحة غرفة واحدة ، وصالة صغيرة تمتلئ في العادة بالأخشاب للثيران ، وصفائح كثيرة لا معنى لها ، وعشة أمام البيت أو فوقه للدجاج تأكله العرس ويسرقه الخمس . وبالليل نهض معتقداً أن كابوساً هاجم أمه التي أقلقه صوتهما المختنق المغمغم . فتح غرضها فراها تنف مستندة على الجدار مذعورة ، وعمه أمامها متحفزاً شرساً .

— لقد معنينا فسبقتك . الجنى ركعها .

كان أبوه بعد أن تغلق أمه من غشيتها . يضحك . يقول « انهم في شوق اليك . اخوتك يحبونك . اعانني الله عليهم » وكان هو لا يملق . الآن لا يصدق . عاد وخرج عمه خلفه . قال لها في الصباح .

— يا أم فرحل . انني رجل ومتعلم ولي السد أعمل .

بكت وقالت .

— أبوك يناديني . أنتظر حتى اموت .

كانت المرأة المملوءة قد صارت كشعاع همس شتوية إذا لامس الأوس طوته الظلال . وبالليل صرخت صراخاً ضارياً كأنها أسد . ركل بابها بقدمه فرأى عمه يضربها بوحشية . هجم عليه لكن عمه كان قوياً فطرجه فوق الأرض . رأى عيني أمه وهو منطرح . كانت بعيدة عنه كثيراً وكان بعيداً عنها . انحنى عمه بنهضه ويظبط خاطره .

— لا تزأعني يا ولدي . ماضيتها إلا علاجاً .

في غرفة التاع . قرر الرحيل في الصباح أو الموت في الصباح كانت المدن والقرى قد ضحكت أبوابها الأمامية للفرقاء ، المساكين الذين تفتح لهم في

عقبها الضراط ، وفي المقاهي الوخيمة السوداء ، حيث تختزل الرجولة في ضربات أكف حامية فوق المناضد ، بعد هزائم وأنتصارات في الدومينو والورق ينسى أبناء الشمال الاسكندنافية . يعطونها ظهورهم ويتحنون عيونهم على مدن جديدة . والاسكندنافية الصغيرة الطويلة ، عمدة كامراً نائمة بشموفة لينة القوام ، لها عجيذة مترهلة كثيفة الشعر والقمل . تعطي الاسكندنافية أبناء الجنوب ، جنوبها حيث العفن في الشوارع المترية الضيقة الموحلة والبيوت المكموة فوق بعضها . يرحل أبناء الشمال بعد أن يمسون لبن الضرع القوي ناصع الحسرة والبياض . تظل عجيذة الاسكندنافية مسك الختام لأبناء الجنوب . ليس القادم فوق السفينة كالقادم فوق أطافره . لافته معلقة فوق المدينة .

ضحت له الاسكندنافية الدافئة جناحها . ضمت عليه يشها . لكن بعد أن يبتته في أفقر أحيائها .

كان بحاجة الى أن يشرب من هواء عذب . يمضي تحت همس هادئة . يخرج الشوك من لحمه . يعصر قلبه بماء زهر الرياح . يجلو عنيه بضوء قمر . ولو كان يستطيع العيش تحت ماء البحر للفعل . فالأضواء التي تنسكب من المصابيح البيضاء فوق الموج الأسود بالليل . وتعكس بهمة كخيوط الذهب ، لا بد تجعل الحياة تحت الماء مليئة بالرح . والهواء الثقيل القادم من البحر الذي يعلف غلة القيط ، لأبد أنفاس قوم طيبين . وأسفل الماء لن يبحث عن أمه . سيدلونه عليها إن كانت هناك . أو يمدونه إلى الشاطئ . ويقولون كيف يجدها بسلام . لم يكن سهلاً أن ينسى ، ولكن كان عليه أن يفعل . وقد تمر السنون فتأس الجراح كما يقال . لكن كيف لن ملأف الجبال والوديان ، الحقول والشرع . المدن والقرى . الشجوع والكفور . والمخاطبات الحزينة لتقف فوقها القطارات إلا لتسير وتتركها في أممال .

المساء أبوابها الخلفية ا

— أين ذهبت ؟

قال متحفراً فقال عمه بلا مبالاة .

— لجد أنبا عادت اليوم . أبوك أعبرني عنها مترب يوماً ما .
قال مستكبراً .

— أيس ؟

— تحت الأرض طبعاً !

— إني أعرف كم زبونا شرب عندي شاها .

قال .

— كم ؟

قالت .

— بالضبط خمسة عشر الف مليون زبون .

ضحك . قالت .

— نرى كم يكونون ياصباد اليوم ؟

ولما طالت ضحكته قالت .

— أنا لم يشرب عندي أحد . يأتون ويذهبون . اكسب فاشترى شاها وسكرا
أبيعهم لاعدو اشترى وأبيع .

قال

— لا مكسب بالمرّة .

قالت

— هل كسبت أنت شيئاً ؟ لا أحد يكسب الآن .

والربح بتلعت الأرض الكشك وقمر . أو طارا معا . أما زالت الأرض محرراً
والقصاء حياً ؟ . ما معنى معنى السنين إذن ؟ . أم لعله لم يعد يرى جيداً ؟ .

إن الذي يرى العصفائر لا يعضى عن كشك راسخ وامرأة مثل قمر .

○ ○ ○

○ ○ تفتح الاسكندرية عينها لأبناء الجنوب . تفتح الاسكندرية فخلطها
لأبناء الشمال . هؤلاء يأتون عبر البحر ويمجدون . يلقون أحلامهم من التعب أو
القش أو الجنون . يروون غلة الشيق المكثوم بإرادة فوق موج البحر وظلال الألووان
السابعة تحت الماء . يسبقون الهواء ويتسلسلون بالمطر . وأولئك يبدأون رحلة
الأحمال . يأتون عبر جسور وقضبان . يضحك بالليل أبناء الشمال في الطرقات
المسولة فيوقفون منتظري الصباح ! . يضحك أبناء الجنوب في الحجرات الضيقة

○ ○ لم يقل شيئاً لقمر أو لغبر قمر . بالهار يصطاد الحمام والليل لا يحكي
حكاياته لأحد . نبتة عرف كيف يفسر لها بالأمس نظراته . لكنها فيما بدا كانت
عائشة . لقد سألته .

— هل تعرف كم بمجمة أصطدتها ؟

لم يرد . تعجب من الهزل الذي يبدو جاداً . قالت .

٢٩

من منطقة «لقباري» التي أستقر فيها في حارة في حي «الكرنتية» .
ومن غرفته الوحيدة فوق سطح البيت المكون من طابقين ، والمردحم بالعرف
والسكان ، المردحمون بالضحك والشجار ، تعود في السنوات الأولى أن يقطع في
أقصى الصيف رحلة قصيرة الى شاطئ المكس . هناك كان يغسل نفسه من كل
هم . يترك عينيه تاهلن ضوء القنار الذي يدور فوق الماء بالتوسع . يبرق له قوس
بعيد من الماء . ساحر تقفز فوقه أمسك متلألئة ويختفي مع دورات الضوء . يسمع
خريشات الأصداف والتوقع وأجر حلمو في الصبور الحشوية الملاصقة
لشاطئ . يمتح قبه بموج فرع ليرب الهواء كله . ينسى أن في الدنيا بشرأ لهم
القسمه في كل شيء . يعود قبل أن يتنصف الليل . في الترام العجوز لا يجد ولا
صبيا عاري . السنين ينم على المقعد وجواره كرتونة صغيرة بها علب كعكات
وأشواط شعر لم تند ، وشريط أكثر استغراقا في اليوم . وربما رجلا أو اثنين يطرون
الى بعضهما في العادة رغم تغيرهما ! والمحصل يغالب التماس فيشعل سيجارة
ويجلس دون أن يتقاضى أجرة من أحد . فوق السطح أمام غرفه يمضي جزءا آخر
من الليل يتابع القمر أو يمضي النجوم ، حتى تقف سحب الحريف فوق البيوت
قيستد لجلولات الشتاء شرق المدينة أو للبار فيما بعد .

كان قد حصل على عمل في مكابس القطن بحي «كفر عشري» .
صار «قيانيا» بن البالات . وكان يبدل جهدا كبيرا في أن يمضي أيامه في
صمت . يطرد كل هاجس أم . كان يعرف أنه لو تكلم . سيحكي ويحكي
والوجوه حوله متعبة . لكنه كثيرا ما يكر في سكن المصلحة الذي كان سينقل
إليه أبوه . أين هو في الاسكندرية ؟ كثيرا ما قرر أن يسأل عنه . كان يريد أن
يرى «عمال المدينة» في هذه المدينة . وكثيرا ما ضحك حين أمسك نفسه
متلبساً بالرغبة في أن يرى اكملهم .

— لماذا لكل منكم كنف منخفضة عن الأخرى ؟
كان بعد في التاسعة . قال أبوه .

— لأننا نعمل العلكات والقصبان على ناحية واحدة .
م يفهم .

— لماذا لا نعملون على الناحية الأخرى ؟ .

ضحك الأب وجلجلت ضحكته . قال .

— ذكرتني بالقرفة وماذا يفعلون إذا عرج باحدى سيقانه . انهم يصيرون
ساقه اعاورة فينتظم سيقه ويسهل ييمه .

وعاد يضحك وضحك الأم وضحك هو وقال ..

— يعيشون الحمار ؟

قال الأب .

— أجل يعيشون الحمار .

لكنه لم يتقطع عن النظر إلى كنف أبيه وأكثاف رملاته ، حتى قال له أبوه
مرة أخرى .

— من نوافر العمل في السكة الحديد أن أول عامس قال للدي بعده ، إن العمر
طويل ، والسكة الحديد لن تنهي ، لذلك نخصص كنفنا واحدة للحسن عليها
نصف العمر ، والأخرى للنصف الثاني ، ومشتينا جميعاً على النصيحة .

وصحك الأب أيضاً ، وضحكت الأم ، لكنه لم يضحك لأنه كان يرى
أكثر اعمال كباراً في السن ، وكان يفهم أن الموت لن يتظر حتى تتساوى
الكتمان .

هال الأب كمحلاً .

— لكن مع إعادة نموت الكنف ويسهل الحمل عليها فنسي الأخرى .

البحر ! .

المدينة التي تقع على الساحل الشمالي لمصر جميلة كما قال المدرس . نذكرها كتب التاريخ والجغرافيا أكثر من غيرها . لأسماها جرس ورسم جيلان ، وهي لابد تجل النفوس من أدائها . ولم يعرف صياد إجم إلا متأخرا جدا ، ولعله لم يعرف حتى اليوم ، أنه وصل في زمن الحزن فيه بساط طائر وبساط مفروش وبين البساطين مقاعد كثيرة خالية ..

○ ○ لم يجد غير أن يستدير ويكمل سبوه . لعله يعرف شيئا عن الكشك وقمر حين يقابل الشرطي أو غيو . ولأن بلور حول نفسه أكثر من مرة والعماء الهندية متطلعا الى الأعالي . ولا يدري أن الجزء اعطى من الرصيف قد أكتفى منذ لحظات . مستمر في السير حينما بأستقامة ينظر الى « رصيف البصل » الى يمينه . لا يرى غير أجونة قليلة . العاصفائر الماثرة تطير فوقها وحولها . ينظر الى الهمار . صف العريات الفارغة يحجب ما خلفه . يحاول النظر من بينها . لا يرى غير أرض ممتدة تتلوى فوقها قضبان سوداء وعوارض أكثر سودا تحتها ومرح هواء . يتابع صف العربات بعينه يجده قصيرا . حين ينتهي يستطيع أن يرى الكشك الخرسانتي البعيد الذي يجلس فيه الشرطي غريب الأطوار .

○ ○ ○

حين أشار اليه ذهب . لم يلفت انتباهه من قبل . لا هو ولا الكشك الصغير . إنه معنى بالهائم المراوغ . وكشك ضيق مخفض ملتصق بالسور الذي يفصل المنطقة عن المدينة فلا يكاد يبين ، كيف يلفت انتباهه . ؟ كيف يمكن أن يدخله أحدا حتى لو كان شرطيا يرتدي بذلة ذات أزرار نحاسية تلمع تحت ضوء الشمس . لكنه اتجه اليه . متى كان ذلك ؟ لا يذكره بالصبط . لكن ليس

ظلت الصورة تعود اليه . وفكرة أن يرى عمال الدهسة تراهوه . لكنها أبعدت أيضا كثيرا فيما بعد ، لأنه سوء في العمل أو في الحى ، كان يسمع حكايات كثيرة عن الآلاف الذين يأتون الاسكندرية كل عام من أقصى الصعيد ويهرم كل يوم . يقطعون رحلة شاقة على الأقدام ، ويسمع أبناء الاسكندرية يتحدرون عليهم ، ويقولون أنهم حائوا « يعدود الفلنكات » . وهو يعرف أنها رحلة قاسية ، مدينة بالجوع والعري والتسول في البلاد والقرى . تبدأ حين يفقد الانسان كل شيء ماعدا قوة في قدمين الخفيفتين وأمل أتر . ففي الاسكندرية يستطيع هذا القادم من الأعالي أن يكون ماسح أحذية . ثم يعلما للكحك أو « البوظة » التي اختفت في السنوات الأخيرة بعد أن أصبح شاربوها يركبون السيارات ويشتررون اوبيسكي من المقارنات . ثم بالعماء للمخضار . والعرض ينحصر في أن تكون له دكامة صغيرة . أو يصبح تاجرا في الوكالة « شان » ومنهم أيضا من يبدأ عملا في البناء يصعد أعلى الأدوار حاملا « قصعة » الخرسانة على كتفه ولأن بأسفل القصعة تجويف مقعر ، فيها حين ترتفع على الكنف تصعط عليها بنش ما فيها ، تنمى الكنف داخل هذا التجويف وترتفع شيئا فشيئا ، وسرعان ما يظهر فوقها تنوء محدد متجمد من اللحم والدم . يساعد هذا التنوء في حمل القصعة ، دون أن يستلها العامل بيده ، أو يحشى سقوطها . يصعد بها السلام الحشوية وهو يغني . لقد صارت مع الكنف مثل العاشق والمضروب ! . ومن بين هؤلاء العمال من ينجح في أن يصبح مقاولا لأعمال البناء ، ومن يظل بقية عمره يحمل الخرسان من قبل أن يموت يعود يمسح الأحذية ويحشى حايما . لكنه كان يعرف أن رحلة هذه الآلاف لا تقطول غير أسابيع قليلة . رحلته كانت خمس سنوات . م يكن هبوطه من أعلى الى أسفل . كان في كل الاتجاهات . أثر تكون رحلته سهلة من يبحث عن أسنينة ودبعة ، قالوا أنها من الجبن ، لأنها كانت رائحة الجمال . وكان يقول ليس للجن أن ينسل بشرا وادعين . وليس للجن جمالها . ولا صوت له ولا دموع . لكنه وقد وصل الاسكندرية ولم يجد ما قرر أن يحيا هيق . انفتحت المدينة اهادقة أمام عينيه ، ففكر الأرض التي ورثه ، وأدرك أنه لن يستطيع عبور

لأكثر من أسابيع مضت . ولم يعرف هل استجاب لأن الشرطي يستطيع مله من دخول المنطقة ، أم لأنه لا يتأخر في طلب لاهد ، أو لأن قسمه تستطيع حمل . ما يتركه أنه صار في الفترة الأخيرة مطويعا لكل شيء ولا يعاند غير زوجته وإمام ، وهو وإن كان يود أن طلوع زوجته ، فهو لا يستطيع أن يقلع عن صيد الإمام ، أو يهزم للمؤامرة . سينتظر حتى تفرغ الحكاية ويود الإمام وو مرة واحدة ! .

فجأه الشرطي بانسامة قالا .

— ألا تعرفي ؟

ود الشرطي يده مصافحه مرتبكاً ينظر الى وجهه الأحمر ، وشعر رأسه الأبيض تحت البنية الأصفر ، وعينه الزرقاوين الصغيرتين . كان الشرطي غيلاً مترصط الطول ركن بندقيته على جانب من الكشك من الداخل .

— معلرة .

أحضر الشرطي من خلف الكشك صندوقاً صغيراً صغيراً ، وضعه أمامه مشيراً الى صياد الإمام أن يجلس بينما جلس هو داخل الكشك الضيق .

— أنا منذ أكثر من خمسة عشر عاماً أجلس في الكشك أراقبك وأنت تصياد الإمام . ألم ترني ؟

أرتبك أكثر .

— معذرة .

أجسم الشرطي كثير .

— ربما لأنك تنظر دائماً الى السماء .

وضحك . فكر صياد الإمام أن الشرطي لديه حديث طويل ، وعليه أن يمس له . لكن كيف يراقبه هذه السنين ولا يكلمه إلا اليوم ؟ بالرجل مس لا محالة .

— معذرة . غالباً لا أرى السماء . أرى الأفق .

— أنا أذكر أول مرة رأيتك فيها . هل تذكر كيف كنت ؟

٧٨

اجسم صياد الإمام قليلاً .

— ربما . بالضبط لا .

تابع الشرطي مزهوا فرحان فجأة .

— كنت ترتدي سروالاً نصعاً وصندلاً بيا . يتلخثك كانت أصغر شعرك الأبيض هذا كان أصغر . عيناك كما هما خضراوان ، ويطلق الشرطي في الضحك بينما حاول صياد الإمام أن يتذكر هل كان ذلك حقيقة أم لا . إنه لا يتذكر ارتدائه لسروال نصع منذ أنهي المرحلة الابتدائية . ولا أنه غير بندقيته . لم يشأ أن يأخذ الأمر بمجدية . ففكر أن يتحين الفرصة لينصرف . قال .

— معلرة . أما لا أتذكر شيئاً الآن .

قدم له الشرطي سيجارة . ود أن يعتذر عنها . فاجأه الشرطي .

— أرجوك لا تحاول أن تهبط بسرعة .

أخذ السجارة مرتبكاً . حاول أن يقول شيئاً ، أي شيء ضحك الشرطي بمرح زائد .

— أنا كنت كما أنا ارتدي ملابس الشرطة !

ضحك صياد الإمام هذه المرة . وتابع الشرطي .

— لكنك كنت قوياً . قد رأيتك مرة ترفع عربة سكة حديد بظهورك .

ارغم صياد الإمام على الضحك أكثر . قال منهشاً .

— أنا ؟!

— أجل حاول أن تتذكر . بعد الكسبة بأيام حين كان سلاح كثير يأتي من الميناء وتحمله القطارات ، خرجت مرة عربة بضاعة عن القضيب عطلت الطريق ، ونا تأخر وصول الوش حاول العمال رفعها ، تدخلت أنت بينهم ، ورفع بظهورك وحده من الأثمن ، ووضع على نقضيين ألا تذكر ؟ لقد صفقوا لك ، لأن قطار سلاح كان على نفس الطريق خلف العربة ، وخلفه قطارات أخرى ، ولم

يكن سهلا عمل مناورات وتحولها جميعا .

جدار لكشت - على بين الكشت وساره وعطفه الجدار العالي الذي يفصل المنطقة عن المدينة . انكشت قديم . الجدار أكثر قدما . سقط ملاطه وبات أحجاره الصخمة التي عشت في شقوقها العنكبوت .. كان صياد الحمام يتابع مساوات الشقوق بعينه حين مره الشرطي قاتلا .

— طيب . هل تذكر الطفل الذي كان معك ؟
— طيبا لا أذكر .

قال صياد الحمام بفنور ورغبا في الانصراف . قال لشرطي .
— أن أذكر . وأذكرك أيضا أنه مات .
أنسم صياد الحمام ساخرا !

— ما أذكره أنه كان معي صديق فقط .
— أنا رأيت زميلك هنا . إنه م مستمر طويلا . أين ذهب ؟
— موجود . انقطع عن الصيد هنا .

لم يشأ أن يقل شيئا غير ذلك عن رصيه . قرر أن يهض لكن الجدار القديم العالي بنا يشفق فجأة ، وتخرج منه رؤوس أفاع ذات اللمسة عديدة ، تفع فحيحا أشبه بصوت الريح العاصيه . اخفض رأسه واغمض عينيه . أخرج عبة سحائره وأشعل احداهما ناسبا الشرطي الذي مد يده واتخذ سيجارة لنفسه . قال صياد الحمام .

— معدرة .

قال الشرطي .

— نحن أصغناه وأن لم تحدث قبل اليوم . كانت حادثة بشعة حقا ، وكان الطفل جبلا .

كاد الجدار القديم مستعيا وارتفع حتى بدا يصطدم في السماء ببعثها .
— لقد جرى ليحضر يمة سقطت بين القضبان قدمه قطار سريع . أنا رأيت

حلول صياد الحمام . يصدق أن يتذكر شيئا عى بقوله الرجل . إنه يتذكر قصارات السلاح الكثيرة بعد الحكة لكة لا يتذكر لواقعة . كان فمط كثيرا ما يجرع مع الجود ويشرب لهم مشجعا . وكان حديث عهد بالمنطقة لم يمض عليه بها ثلاث سنين ؟ . قال الشرطي .

— تعرف انني طنتك « الجبار » ولكني قلت اخبار كان أسود ولم يكن يصطلد الحمام ..

لم يفهم كيف يقول الشرطي « الجبار » مفترضا أنه يعرفه . لكن الشرطي قال .

— أنت لم تعرف الجبار .. لقد احتفى بعد الثورة .

ترك صياد الحمام نفسه يسمع . لم يشأ أن يعلق بشيء . ذكر أن يشرد بذهنه . لكنه حين شرد تذكر سؤال « قمر » عن عدد الحمام الذي اصصده فأحس بالضيق . قال الشرطي .

— كان « الجبار » قويا ضخما وبأني ليدفع العربات بيديه ، أو يعمل بصدها على ظهوره ويسير بها والجنود الانجليز ينفرون عليه ، ويضجكون ويعطونه نفردا .

كان يكسب . ودات مرة رهنهم بأنه يستطيع شد العربة بضوه . أجل . لا تندهش . وطلب منهم حبيه استرليسي أو نجح ، وإذا لم ينجح يضربه عشرة جنود على قفاه .. ونجح . ربط في عصوه طرف حبل ، وربط الثاني في العربة ، وجراها كأنه قطار . أخذ الحبيه الاسترليسي ولم يعرف أحد ماذا أرادته كذلك . لكن قامت الثورة واحتفى الانجليز . انقطع الجبار .

كان ظهر صياد الحمام الى المنطقة . وجهه في وجه الشرطي . خلف الشرطي

ذلك ولم اتكلم ..

— لكنك جئت في اليوم التالي . رأيتك تضع الحلاية على الرصيف وتدخل إحدى العريات ، وكنت أنا عائداً إلى البيت . سرقت يمامة وأعطيها لأبي . كذبت وقلت أنها هدية منك . صار عجبك ويعلم أن يكون صيادا ، لكنه صار عجبشجيا يسافر مع القطارات ولا أراه .

.....

— لم يمكن صياد الحمام يسمع . أنصرف دون كلمة ، ومشى إلى البيت شاعراً بأنه ما يزال يسقط في البئر العميق . ما كاد يدخل ويضع البندقة والحلاية الفارغة حتى خرج . قالت زوجته .

— ألا تتوجب عليك اراحة الآن ؟

كاد يصفعها . إنها تحطم النياحة يهدوئها . آه . هي حقاً بلسم للألم ، لكنه يريد الانفجار .



كانت الأمكنسية في تلك الليلة مدينة مظلمة ، أغتربت فيها السحب السوداء من الأرض . لماذا لا تكون الأرض أرضاً والسماء سماً ؟ . ظل يسقط في البئر ، وكان القزار البار . قال الجرسون الذي رآه حزناً .

— هل ستسألني عن مصطفي ؟ . حاول أن تنسى . لا يدخل هذا البار أحد إلا وضحك .

وصار الجرسون يضحك .

— هل ستعود إلى الصمت من جديد ؟ لقد ظلمت سنيا طويلة تجلس وحذك لا تحدث أحداً .

حاول أن يقول شيئا لكن الجرسون كان غاضبا بالفعل ويقول .

— هل تصدق أنه يمكن أن تقوم صداقة هنا . انهم يأثرون أدين وثلاثة وعشرة ويخرجون واحدا فواحدا .

ضحك صياد الحمام ، وأحس أنه ينتصب الضحكة . قال — أنا لا أذكر ذلك البتة .

تراجع الشرطي بظهوره . أشعل السجارة . انحنى الجدار القديم العالي فوق صياد الحمام ، وحجب ضوء الشمس وقمر الليل !

— أنا لا أنسى ذلك القطار الملون . لقد سبق وراس عجوزاً مسكينة كانت تبيع الحبوب للعمال . حفرتم وقمهم على جذون الكشك الثلاثة . انظر .

رأى صياد الحمام رقماً محفوراً . بدا الشرطي في عيني صياد الحمام إليه حقاً ، لم يعرف أنه بدا في عيني الشرطي مسكينا .

— 'أؤمن بالقضاء والقدر . أنت تركت الطفل ميتاً ومشيت تصطاد الحمام .

صار الجدار سوداها طويلاً متعرجاً ، يصفر حيناً ويومض مجهول ، ثم يعود يظلم . وصياد الحمام يسمع صوت الشرطي من بعيد ، وهو يسقط في نهاية السرداب في بئر ساحة ، بين أنفاسه تصعد إلى أعلى . قال كأنه يهمس لنفسه .

— هذا غريب حقاً ! أرتفع صوت الشرطي .

— ليس عريبا ، يحدث مظه كل يوم — ويكره في كتفه — لا تحزن . حاول أن تتذكر . كان ذلك منذ سبع سنين وأربعة عشر يوماً — ونظر إلى ساعته — وساعتين فقط .

— ...

— آخر النهار جاءت امرأة تولول ومعها بعض رجال . أعجبهم عن الواقعة وأين يجدوا جثة الطفل . ألم يقولوا لك ؟

.....

علق بصوت متعلماً إلى الجرسون الذي بدا له لا يفهم شيئاً . ارتبك الجرسون فقهر الحديث .

— ما رأيك في الفودكا ؟ . أول مرة تدخل البار . ها ها ها . اختلفت الحكومة مع الأمريكيان قطعت البيسي والكولا . الآن احتلت مع السوفييتي . أكيد ستقطع الفودكا . هيء هيء هيء . مع أنها كانت دائماً شحيحة . أي صداقة كانت دون الفودكا ؟!

وأصرف الجرسون ضاحكاً فضحك صياد النجم .

○ ○ بالليل كان الشرطي يضحك محملاً وجه زوجته الجميل . لكنه لم يستطع أن يمتنع عن لفته مرة ثانية . ظل يلقاه بعد ذلك وحتى أمس . رسوف يلقاه اليوم بعد أن ينتهي من هذا الرصيف ، وسيسأله عن « قمر » . لكن صف العبرات لم يته بعد ولا يستطيع أن يراه من بيتها . إذ وحرات البول المتجمع في المائدة فجأة تصبى أنفاسه . سيدخل هذه العبرة المفتوحة ليعرعه . وبعد أن ينتهي الرصيف سيذهب إليه دون أن يدعو . لقد لاحظ أنه لم يذهب إليه من قبل إلا إذا ناداه أو أشار إليه . وإنه حين يمر من بعد زراعته بالصحبة ، كان الشرطي يرفع ذراعاً أيضاً ولا يناديه . يبدو كأن كليهما يعرف أنه لا رغبة صد الآخر في الحديث أو اللقاء . وسين يذهب إليه بنفسه ، أو بعد أن يشير إليه الشرطي من بعيد . كان هذا ينهض ويقبل عليه هاشاً بأحلم من يده ليجلسه في حجرة بالقة ، ويبدو أن كليهما في حاجة إلى أن يستمتع إلى الآخر ويلقاه .

لم يعرف صياد النجم ، لماذا كلما فكر في الابتعاد عن الشرطي أو تجاهله ، ذففته قدمه إليه . وكان كلما عاد إلى منزله ، نظر إلى وجه ابنة الصغير ، الذي يطلب منه كل يوم أن يصحبه ليعطد وتبره زوجته . لكن الشرطي لم يعد إلى حديثه الأول . لم يذكر بعد ذلك شيئاً عن الطفل الذي قال أنه مات تحت

عجلات القطار . طال حديثه عن المنطقة ، وخاصة عن البصوص . قال أن المنطقة حالية منهم تقريبا . ورغم وجود فتحات كثيرة في الأسوار المنيطة ، فإنها ليست من صنع البصوص . وصنعها في الغالب أشخاص يريدون اختصار الطريق ، وليس لديهم صبر للذهاب حتى البوابات الرئيسية ليخرجوا منها . وأنه لا يوجد بالمنطقة غير بعض « لساكين » يتزقون من جمع الغلال الساقطة على الأرضفة ، مثل « هند » وأملها . هؤلاء تركهم الشرطة . كما ترك عمال المدرسة وهم يعزفون من النحل ، حاملين أخشاباً وأكوال صناع قديمة . فهم يخبزون بالخشب ويشعلونه للدفعة ، يقومون بألواح الصاج عششا للدجاج — ظن أن سكن المصلحة قريب من هنا .

— هل بعد أمتار قبية . هل تعرف أحدا هناك ؟

— لا . لا . لا . إنني كثير ما أراهم يعملون ولا أعرف أين يسكنون .

كان صياد النجم صادقا . لقد خرج السؤال دون أن يقصده . مضت سنون كثيرة على اليوم الذي أهم فيه مرة . ثم إنه رأى أعمالا ورجالا أتعب . والاشكندية ليست سبها في موت أبيه أو صياحه أمه . وهي لم تقسو عليه . إنه يعيش في قاعها ولم يدخنها . وهو لم يعرفها ولم تعرفه . يرى كالبساح ويسمع كالفريش . وقد جاء للإشعر حتى برعة في الأكل ، رغم أن يوما كاملا قد يمر دون أن يأكل غير مرة واحدة . وفوجيء بالشرطي يقول .

— غريب أنك تصطاد هنا منذ أكثر من خمس عشرة سنة ولا تعرف المنطقة .

— انني أعرف الأرضفة وهذا يكفي .

وصحكا . فكر الشرطي قليلا وقال .

— حقا . هل تعرف اني امالك لا أعرف غير هذا الكشك ؟ .

استغرب صياد النجم .

— ماذا تقصد ؟

— أنت تعرف عملك . وأنا أعرف عملي . وعلمي أن أحلس في الكشك أراغب

ما يحدث أمامي .

- خمسة وثلاثين عاماً أمضيتها داخل الكشك . حتى الشاى أصنعه بنفسى .
- كان بالفعل لديه موقد كحولي صغير يظهر تحت مقبله . واستطرد
- هل تشرب شايًا ؟
- شربت قبل أن أتيت .
- ها . عند « قمر » .
- وضحك .
- هل تعرفها ؟
- زملائي يتحدثون عنها كثيرًا . اكثروهم حاول الزواج منها .— حسنت هل تعرف أنى
- لم أرها قط ؟



بعد قليل سبى الكشك الخرساني والشرطي وميزبب إليه . ترى هل سيخبرني عنها ؟ . هل عرف عنها شيئاً من زملائه .

تخط أمامه جماعة قليلة من المصافير . تلتقط بسرعة حبات قمع مبعثرة . تظهر في نتيجة متجمعة ثم ما تلبث أن تنقرق . بعضها طار مع الريح . بعضها ضد الريح . البعض إلى الأرصعة الأخرى . ينتشي صياد الحمام للحظات وهو يسمع رفيف أجنحتها . لماذا طارت المصافير حين اقترب منها ؟ إنه يصطاد الحمام فقط . لابد أنها تراقبه طوال السنين الماضية . تراه يصطاد الحمام ولا تصدق أنه لا يصطادها . تنتظر اليوم الذي يصطادها فيه ولا يفعل فلا تصدق . ربما تفكر أنه يتركها يوماً ليوم آخر . لابد أنها عاشت في ترقب وخوف . ولابد أنها نقلت ذلك لكل المصافير ولقنته بصغارها .

ينتبه صياد الحمام لكل مرة ، إنه إنما يسر فوق الجزء المكشوف من الرصيف ، ولا حاجة به لرفع بلقيته ، والنظر إلى أعلى . لقد ظهرت الشمس فجأة ، وانجلى السحب . راقت صفحة السماء ، وخفت حدة الريح . وهو

وصمت قليلاً وقال

- هل تعرف أن المساحة التي راقبنا تقل عاماً بعد عام ؟
- هل تعتني أن عدد الشرطة يزداد ؟
- أتسم الشرطي .
- لا . لست ذكياً يصيد . فيلون يقولون على الشرطة الآن .

تخبر صياد الحمام قليلاً لكنه وجد الحديث ممثعاً .

- إذن لنذرة اللصوص . ؟
- لا . — وضحك الشرطي — إذ نظري يضعف مع الأيام !
- اتسم صياد الحمام وازداد الشرطي ضحكاً وقاب ..
- أرغب في الاستقالة .
- هذا السبب ؟

— إنها مهة لا معنى لها .

فكر صياد الحمام قليلاً . كثيراً ما يُعاد الحديث ولا يعود الزمن . لقد حدثه صديقه الذي علمه الصيد ، عن شيء مثل هذا من قبل ، لكن أين هو الآن ؟ لم يشأ أن يفكر أكثر من ذلك . لكنه تساءل راعماً ترى ماذا سيؤول الشرطي أيضاً ؟ . — في منطقة كهذه واسمة مكشوفة لا يسرق أحد . هل سمعت عن أحد سرق قطاراً ، أو حر عربة سكة حديد إلى المدينة . لماذا اجلس أنا أذن هنا ؟

اتسم صياد الحمام . قال

- لكنك تستطيع أن تترك الكشك وتجلس مع أى أحد ..
- ومن يؤذي عمي ؟
- تترك صياد الحمام لم يستطيع أن يجيب . قال لشرطي .

يشعر الآن ببعض الدفء يسري فيه ، وفي الجو ، ويتهيئ صيف العريات فينظر ، ولا يرى الكشك كخرساني البعيد ولا الشرطي . لا يصدق ويقف .

بالأمس أخطأ وسأل الشرطي .

— لماذا لم تطلب نقلك الى مكان آخر ؟

— سبت .

واسطق الشرطي في ضحك عريض

— كل يوم أفكر في ذلك بالليل . يطلع النهار أنسى .

واستمر يضحك .

— ابني الذي صار عطشجيا يسافر مع اقطارات يرسل الى خطابات من البلاد ، ويقول أنه كل ليلة يفكر في العودة وزارتا ، ويطلع الصباح فيركب القطار ويتنى .

وتدت عيناه بالدمع .

— أكون من ثلاثين عاما أنسى — وبعد لحظة — المشكلة أني لا أعرف عملاً آخر . زملائي على الأوصف يجنون من يتحدث معهم وأنا وحدي أقاوم الذباب . انني اتسل بمشوا البنكية بالرباص وتقرئها وعده ، ثم حشوها وتقرئها وعد الطلقات من جديد ، مع أنها عشر صقات لا تجهد ولا تنقص ولا تنفر .

فكر صياد الهمام في « قمر » كيف سألقه عن عند الهمام ، الذي أصطاده فسمع الشرطي يقول .

— بالمناسبة هل تقص الهمام ؟ انني لا أراك تصطاد منذ سنوات . هل أحصيت ما أصطدته من قبل ؟

أرتبك صياد الهمام . هل يكون للسؤال معنى ؟ لقد سمعته حتى الآن مرتين وما يزال في منتصف اليوم . قال الشرطي .

— أنا صرفت من السلاحليت حتى الآن حوالي مائة وثلاثين ألف طلفة . ألهم

٤٨

لجمع واضطلات تجعل العدد غير دقيق .

اينسم صياد الهمام وهو يشعر أن الصنوق الخشبي ينخلف به . قال . الشرطي عولا الحديث .

— لقد رأيت الجبار أمس .

م يرد صياد الهمام .

— رأيته بخط في سراق كبر امام جامع سيدي اقباري . لقد رشح نفسه في انتخابات مجلس الشعب . كيف لا تعرف وأنت تسكن في الدائرة .

واسطق يصحك فجأة بينما قال صياد الهمام في عيط .

— لكنك تقول أنها نفس الطلقات لم تنفر ؟

أجاب الشرطي على الفور

— لكن الأيام تختلف . أليس كذلك ؟

وبدا حازما كأنه يصدر أمرا .



يفتح صياد الهمام عينيه على اتساعهما ولا يراه أو الكشك . شيئا فشيئا تعود السحب تقف بين السماء والأرض . يتراجع الدفء . يرتعش قليلا . يرى المدرج في نهاية الرصيف . يبهط . ويمر القنبت الكثيرة والمعارض الملطخة بالمزوت الساقط من القطارات والأسلاك المرتجئة . يرى هذا كل يوم ولا يهم له . اليوم يشعر كأن القنبتان تتدري صارخة ، تريد الفرار من المسامير القاسية ، انهي تربطها في عوارض حديدية وخشبية ، حفر لها عمال المدينة في الأرض . ووضعوها وزدها وذكرى القرب والزلاط حولها ونحتها فصارت هي والأرض والقنبتان كتلة واحدة ، ووضعوا أيديها لافكك من أسو . أي سؤال سمعه أمس وما معاه ؟ وما معنى أن يختفي الشرطي وقمر والكشكين ؟ ..

في لحظات ، ويغظ لا مثل هل ، يصبح غير معين بشيء ! يقترب من « رصيف القصب » . يصعد قوته ويقف مترددا . كان هناك شيء يلمسه قبل أن يصعد هذا الرصيف . ماذا كان يفعل ؟ لا يتذكر . رأى منذ قليل شيئا غير الذي كان يراه كل يوم . ماذا رأى وماذا استقى أيضا غير قمر وشرطي ؟ لا يتذكر ؟ هل يعود إلى البيت الآن ؟ الرصيف الطويل يبدو مثل كفن . وحال تماما من القصب ، ليس فوقه لا مصاصات قديمة أشدته أنها كثيرة لدرجة جعلته يتخيل أن جمعا من الملائكة أو الجن هم الذين امتصوا القصب كله بالبلل . وإذا لم يكن هناك جن أو ملائكة فلا بد أن أهل المدينة كلهم اجتمعوا الليلة الماضية فوق الرصيف يمتصون القصب. يقف فجأة يستدير جاعلا بقية الرصيف خلفه . ينظر إلى المنطقة كأنه يقف فوق جبل .

هذه المنطقة هي التي يأتي اليها دائما وليست غيرها . لابد أن يدرك ذلك جيدا وإلا الثالث . لن يترك شيئا يفعل به ذلك ، يشمخ في وقفته كجندي يعلن عن وجوده .

الفضاء الرحب تمتد أمامه مكللا بالمسحب . البرق صار بعينه ولا يرعشه . وعليه أن ينظر جيدا . سوف يرى مالم يره . سيدرك ما نسيه . لا يمكن أن يتخفى كل شيء مرة واحدة . حتى اليوم سيظهر بعد قليل . وتطول وقفته ..

○ ○ حين وصل إلى الاسكندرية لم يكن يعرف أن في الدنيا يمما فمن قبل لم يكن ينظر إلى السماء . وأول ما واجهه من الاسكندرية فضاء أبيض رائق ، وهيلون يتجمع حوله الناس في ميدان الخيمة . في سبي الكرنينة كانت الطرق غير مرصوفة ، والمنازل متباعدة ، وسيارات النقل المارة تثير الغبار ولا يرى بين الحين والآخر غير بعض عصافير تقف فوق أسلاك الكهرباء الهوائية ، وأطفال يلقفونها بالجملة باليدس أو بالبلل . أزدحمت البيوت والطرق فطارت العصافير رغم أن الأسلاك ازدادت في الهواء . في عمله يحكاس القطن لم ير يمما وإن سمع

الكلمة تتردد طول النهار في أهواء الرجال يصفون بها النساء . لكنه رأى يوما زميلا له سبقه في العمل « قبانيا » مثله ، قادما معه بندقية صيد . ثم رآه يأتي ويذهب بها كل يوم والمرة الوحيدة التي تحدث فيها مع أحد في غير أمور العمل ، كانت مع هذا الزميل الذي قال .

— طالما تمشي وحسك مثل لماذا لاتصطاد الحمام ؟ لم يفهم كيف يرتبط صيد الحمام بالوحدة . لكن الأمر بدا له حقولا . اثنى بندقية صيد ولم يصطد شيئا في اليوم الأول . حين أتى إلى العمل صباح اليوم التالي كانت دهشته غامرة . لأول مرة يرى أن تحت « كوبري التاريخ » المجاور تقع ورش غريبة ، لصناعة سفن صغيرة ، لثروة الممعدية الممتدة تحت الكوبري . وأن اللون الأسود الكثيف حوله هو ملابس النساء العاملات . وانهم رغم تعلق ندف تقطع ثيابهن لا يفكرون في تغير لونها . واتهم يبدن وهن خارجات من العمل لعلاء أو الانصراف كطواير جنازة صغيرة . لكن الثياب السوداء تكشف أيضا عن وجوه بيضاء حسنة رغم الفقر . ويلاحظ أن عبال القرقرية بالفالج ، تبلو صدورهم مضغوطة إلى الداخل ، وهيلون منحنين إلى الامام . انهم لا يحمون شيئا فوق ظهورهم وليسوا بحديين ، لكنهم مصوبون فيما يبلو . ورأى أن الجميع سحاة . يأتون ، يعملون ، ينصرفون كذلك . رآه مشهد الغداء حين تفرش الأرض حول المكاس والهاالج المنتشرة ، بالتجمعات الصغيرة من النساء والرجال . تبدو جماعات النساء كأكوام سوداء تبتق منها زهور يضاء جاذبة . جماعات الرجال مبعثرة لا هوية لها . وربما هم لا يتحدثون خلال الأكل كما تفعل النساء . عل يسار كوبري التاريخ اقيمت بعض حيام قصيرة من الخيش تحتها حلاتون يشم رائحة صابونهم الرخيص وبعض باعة الجبن القريش والقديم والقون والقلاض واخبز الشمسي . فكر أن هؤلاء الباعة لابد يعرفون أن يومية الرجل خمسة وعشرون قرشا والمرأة عشرون . ولا يتقاضى الزبون قرشا إلا من هو مثله من القباتية والملاحضين .

كان الباعة يقدمون الطعام في أطباق قلوة من الألومنيوم والصفوح . ولم يعرف صيد الحمام أنهم سيلجأون الى طريقة غريبة بعد خمس سنوات مع الارتفاع الحين للأسعار إذ سيقتحون « الرعيح الشمسي » ويغسسون في وعاء المش فرشاة كانت أصلا عصصة حلالة الذن ، ثم يدهنون الرغيح من الداخل بالمش مستخدمين قشره . ذلك أنه سيكون قد هجر لعمل ، وفي طريقه الى البازار لن يرى شيئا لأنه يتذهب مساء . لكنه سيرف بعد ثمانية أو تسع سنوات أن الباعة واخلاقين اختفوا من المنطقة تماما ، لظهور أعمال أخرى أقل جهدا وزحما بلا حساب !

ذهب مع زميله في ليوم التالي مدركا أنه لن يمضي كثيرا . سيرف فقط شربطى الترام ويدس في شارع واسع قصير ينتهي بواية جديدة ضحلة ، يعبرها فيجد نفسه أمام منطقة واسعة من الأرضة والقضبان والقطارات .

علمه زميله أسماء الأرضة . قال أن كل رصيف اشتهر بما يأتي فوقه من بضائع أو ما يقلب عليه منها ، ماعدا رصيف الباشا الذي لا يستخدم كثيرا ، والذي يمكنه الوصول إليه من بوابة أخرى أقرب الى منزله .

قال :

— ألا يكون الصيد إلا فوق الأرضة ؟

قال زميله .

— إذ توغست للأمام ستجد بعض أشجار . لكن الفرصة هنا أحسن . وإذا توغلت بعد الأشجار لن تجد إلا قضباناً تدور حول الاسكندرية .

ابسم وقال :

— إنك تعرف المنطقة جيدا .

قال زميله .

— كنت أعمل بالسكة الحديد .

كان يرى زميله مقبلا في الصل على الغيتات والنساء . وراهن مقبلات عليه . ابسم وقال :

— لا يوجد نساء بالسكة الحديد .

قال زميله مقتضبا .

— كنت خفير مرلقان .

وجعل يتبع بجمامة تتقل من عذرة الى أخرى . قال .

— وماذا في ذلك ؟

أشرف اليه زميله أن يصمت . في لحظات قليلة صرب مدينته وأطلقها طارت الإمامة مجروحة تحت السقف وسرعان ما سقطت . حين أمسكها وجدها تلفظ أنفاسها . أخرج زميله مطواه ونزعها ووضعها في غلاته . قال .

— عليك أن تذبح الحمام . لا تتركه يتعذب ليعيش لأنه سي موت وأنت لا تدري !

ومشيا يبحثان عن الحمام . شرح زميله كيف كان عمله لا معنى .

له ، حيث كان يقضي النهار جالسا منتظرا ثلاثة قطارات يعرف مواعيدها هي التي كانت تمر فوق المزلتاك فيبلغته أمام العربات والسيارات التي كانت قليلة .

— لكنها مهينة سهلة . لماذا تركتها ؟

وجد نفسه يسأل . قال زميله .

— قلت بمة . المزلتان كان بعيدا عن المدينة . وكنت انظر وحدي في كمنك خشبي صغير ، في منطقة خالية من كل شيء ، إلا بضعة أشجار متفرقة ومتربة دائما ، وبين القطار والقطار وقت طويل . كنت أفكر كثيرا وكنت أصاب بالضيق .

استغرق حاجت زميله بقية اليوم وأكثر الأيام التالية . في ذكريات مؤلة ومضحكة .

كان أبوه يحمل على « معدية » فوق ترعة الحمودية وكانوا يسكنون في « غيط العنب » . وسين جرت أول انتخابات مجلس الأمة بعد الثورة طافت غريبت في الشوارع تدعو الناس أن يعطوا أصواتهم بحية لأول مرة ، وتدعو النساء بصفة خاصة أن يعطين أصواتهن . يوم الانتخابات خرجت أمه مصدقة ، وبمها حشد من نسله الحى لا يعرف حتى اسمه أطفالهن . حذر أبوه أمه كثيرا من ذلك لكنها ركبت رأسها . أمضى أبوه يوم الانتخابات في البيت وخرجت هى . وكان أمى متقسما بين مرشحيه الاثنين . « الجعافرة » يؤيدون مرشحا « والجهاوية » يؤيدون الآخر . والفتان مقطعان أصلا باصيدي وكثيرا ما يقتلوا في غيط العنب . قامت معركة بينهما عند باب إحدى اللجان المجاورة لقطعة المونس ، طارت فيها زجايلت السيسى قبل أن تنقطع من البلاد ، فصالت واحدة رأس أمه فسقطت تحت الأقدام تنزف حتى ماتت .

أما أبوه فقد حزن كثيرا عليها ، وأحس يذنب كبير لأنه لم يمنعه بقوة ، فجلس معظم وقته في البيت يقرأ القرآن ويدعو لها . ولأن شقتهم في الدور الأرضي ، كانت نوافذه تطل على الشارع بحيث أن السائر فيه لو شب قليلا على أضامه يراهم . والشارع رئيس يمر منه غرباء ، لذلك كان أبوه حريصا على أن تظل النوافذ مغلقة معظم الوقت . لكن حدث أن بدأ « الأوتويس » السير في الحى لأول مرة . خرج الناس جميعا الى الشارع وصعدوا فوق الأسطح يتفرجون . فتح أبوه النوافذ وتركه يتفرج وأوصته . كان الأوتويس كلما أتى حيه الناس وصفقو كلما عاد . فجأة خرجت إحدى العجائز الخلفية من أحد الأوتويسات وظلت تدور جارية فوق الأرض منمرقة قليلا الى الرصيف كانت كبيرة ومندفعة فاصطدمت بمحفة الرصيف مما أدى إلى ارتفاعها عاليا مع استمرار اندفاعها إلى الأمام . بعد الانقطة التي اصطدمت بها مباشرة كانت نوافذ شقتهم . دخلت العجلة المرتعزة من إحدى النوافذ ، وسقطت فوق أبيه الذي كان يصلى فمات في الحال .

وغير ذلك كثير لم يشأ أن يقصه . قال أنه كره العمل لأن الوحدة يطول الوقت كان يذمها لضكير فيها معنى . اشترى بندقية رش وجعل يصطاد العصافير التي تأتي لتلف فوق شجرة عاورة . وسين لا تظهر العصافير كان يعيش قليلا في المنطقة الواسعة المحيطة ، يبحث عنها فوق الأشجار الضرية ، ويعود مراعي أن لا يتأخر عن مواعيد القطارات . ذات مرة ظل يعيش فوجد نفسه في يته . في الصباح حققوا معه وبفسلوه . في ذلك ليوم بالذات وقعت حادثة . اصطدمت سيارة نقل بقطار . ولبه بالذات كان القطار عسكريا ! رجاء في خطاب الفصل من العمل « إحمال ترتب عليه تأخير قطار على درجة عالية من الأهمية » . وضحك زميله وقال .

— سألت هل هناك حرب ولا أدري فقالوا في اليمن .

وضحك أكثر قائلا :

— لم أكن أفكر أن قطارا يمر في البقعة التي أجلس فيها يمكن أن يؤثر في حرب تجري في اليمن !

طال الزمن على حكايات زميله ، لكنه لم ينسها أو ينساه . كثيرا ما تسأل بعد أن احتفى فجأة لماذا حقا علمه الصيد وتركه وحده ؟ ماذا اختفى ولم يبق ؟ وسين لم يعد يتسأل كثيرا ، وهذا أنه اعتبر فقلقه بزميله عابرا فوجيء خطاب منه . كان ذلك منذ خمس سنوات . بعد عشر سنوات تقريبا من اختفائه . قال له في الخطاب « أريد أن تكون نجحت في أن تحمل مكانك بين النساء في العمل » ، لم يكن يعرف أنه تزوج وهجر العمل مكتفيا بصيد الحمام . وقال « أريد أن تكون متقدما في الصيد » ، فبدأ لا يحسب السنين . في خطاب آخر قال « لعلك لم تمل المنطقة » فبدأ قد نسى سحرها الذي صار يشد صياد الحمام كل صباح حتى الآن رغم عقم السنين الخمس الماضية . ثم أرسل اليه خمس خطابات كانت كلها عبارة طويلة تقول « إنني أصطاد في منطقة غريبة . بمسها عجيب . وإذا استطعت ان هجر الصيد عندك فالحي في » . فكر صياد الحمام

كثيرا في هذه العبارة . لم يفكر أن يذهب اليه . فكر فيها أكثر بعد أن انقطعت الخطابات تماما . قال في نفسه لماذا لأبقي زميله اليه . يعرف أن زميله لو أراد شيئا فعله . ربما لأنه لا يرد على رسائله . لكنه تذكر أن زميله لم يذكر له عنوانه قط في أي من الخطابات . حاول كثيرا أن يتذكر ملامح هذا الزميل فتشغل . لم يجد يعرف ما إذا كان قصيرا أو طويلا أو بين بين . أسود أو أبيض أو بين بين . تساءل هل حقا كانت حكاياته حقيقية . هل هو الذي يرسل اليه هذه الخطابات - لا يتذكر أن زميله عرف عنوانه مرة . كيف أذن عرفه الآن ؟ . لقد جعله حديث الشريط يتذكره بعد أن أهمل التفكير فيه نهائيا . هل كان زميله حقا من البشر ؟ لفضاء حوله الآل متوقف عن الحركة . لفضائع قليلة فوق الأرضة ولم يظهر أحد . نهرات عجوز عجزوز . ومايزال يقف وقفة الجسدي الذي يعلن عن نفسه . لكن لماذا يكون زميله كاذبا ؟ ولماذا يكون صادقا ؟ ! . كانت « قمر » حقيقة حتى أمس وها هي اختفت ومعها كشك الشاي ، بيتها . كذلك كان لشريطي ألبدي ماعرفه إلا متاعرا لجمته بأشياء غريبة . لكن ما يزال في اليوم بقية وقد يعرف شيئا عنهما . وقد لا يعرف . لا يقين إذن . لايقين . حتى صوت ربح التي عادت تشتد لا يهره . ولا يعرف ما إذا كان قول زوجته في الصباح عن ليد الشديد حقيقة أم وهما . ولكن ماد عماء قد نسي وحاول أن يتذكره . لا يهيمه ذلك ولن يهيمه فيما بعد ! .

يلفت بخشي فوق رصيف القصب . يحكم البصرة ورفع البندقية وهو لم يزل في بداية الصيف المكشوف ! . لا يرى يوما وهو ما خرج إلا للصيد . لا يسمح ولا صوت الأروق تطيرها الريح . لكن مايزال هناك يقين بالفرز !

○ ○ يكتشف صياد إجمام أن في قلبه جرح اختفاء زميله ، واعتباطاته الغامضة . علمه الصيد لسبب لا يهيمه ، بينما قال هو في نفسه حيلة جديدة بها

ينسى . وكانت الأيام طيبة معه فابتعد الماضي كثيرا كثيرا ولم يعرف أحد عنه شيئا حتى زوجته . لكنه يعرف أنها لم تصبده . حين قال إنه فقد والده بالموت ، مثل كل الناس . كان يشعر بها تنابها في شروده ، وكثيرا ما أحس بالصوم منعكسا من عندها الى عينيه ووجهه . ولا يذني تجلها . كان هواء البحر ورذاذ اوج وسرعة قديمه في أماسي الشتاء تفصل قلبه وتخلو عينيه ونسي . كذلك كانت جولة الصيف المسائية . حتى بعد أن أفلح عن ذلك وأكسى مجلسه البار لم ينهم . استمر دفة الحمر وبعاشها وقوم حزينا . لم يتم له علاقة بأي من الرواد إلا متاعرا جدا ، مرة واحدة . ظل يذهب وحيدا ويجلس وحيدا . يتأمل الجرسون ويقول ضاحكا . « أنت مثل الله تجلس على الكرسي وتحاسب البشر ! » .

كان في البداية يجلس صامتا خائفا الى حد كبير . يتحدث الى الجرسون بانتصاب . يطلب الحمر الذي صار يحبه . الوم والبراند في الشتاء البيرة أو الدبيب في الصيف . بعد ذلك أختف نظامه حين صار يتحدث بلا خوف ، ويجلس بلا مبالاة . صار الجرسون يعرض عليه الأصناف ويطلب أن يجربها . لاحظ مع مضى الأيام أن الحمر تجلب نوعا خبيثا من الحزن تنسرب اليه مع كل كأس . ترك نفسه لذلك الحزن العجيب الذي ساعد عليه دفة شتاء الاسكندنافية ووطوية صيفها . لكنه ما لبث أن قومه وطارد كل فكرة تجلول أن تظل من عين الماضي الذي يريد أن يسهقه . صار يشرب ويعرف أنه سيحزن ويجهاد أن يسافر بعيدا عن الأسباب القديمة . يترك صدره يتقبض . وجهه يتقلص . إذا دمت عماء لا يهكي ولا ينمهما ! . يتضرع على نفسه ويقول في عز « لن أموت أبدا . لن يقتلني شيء . والدنيا لن تدور دورة كاملة » . وكان رغم الحزن الذي يلحق بجسمه ، يهد أن يمسك السماء بقضته بسحقها في الأرض . أجل . كثيرا ما فكر في ذلك وهو جالس تحت شجرة التوت الضمعة الرياضية بعد نهاية رصيف الباشا بتليل . كان يرتاح تحت ظلالها بعد أن ينتصف

التيار . ينظر الى الأكشاك الخشبية الثلاثة امامها والتي بها بعض عمال الحركة . يفكر في أنه قري ولن يستسلم . بالمنطقة أكثر من شجرة مصرفة . لكن هذه ذات جذابة سرية .. أورانها العريضة أكثر أخضراراً . تنشر سكينية على الأرض هو اوج ما يكون اليها شجرة تكاد تتحدث بجنون دافق . حين يجلس تحتها يحس كما لو كان يضع رأسه على صدر الكون . تصبح الدنيا أما عطوفاً . يتمدد على الأرض مستنداً بظهره الى جذعها الضخم البارد ، واضعاً اليدقة جواره . مرغياً قمته فوق عينيه . لا يلجم . فقط يرتاح . يتسرب التعب من أصابع قدميه وقلبه . إذا تساقط فوقه بعض الثوت الأحمر أو الأخضر يأكله . يأكل الطعام الذي عدته زوجته . وكثيراً ما فكر في « قمر » . إنها رغم جماعها وجسدها الأحمر لاثير فيه رغبة جسدية . يفكر في وضعها وحيدة تام في كشدك وحيد في خلاء وسع كنهها بيتان شيطانان انشقت الأرض عنهما ، أو قدتها السماء . قرر كثيراً أن يقنع عن النظر اليها . إنها الوحيدة التي تردده الى الماضي . إنه ، حقيقة لا يعرف ما إذا كان يكرهها أم يحبها .

في السنين الأولى فكر كثيراً في زميله الذي احتفى . حين أفتت خطابات احس ببعض الاطمئنان . لكنه فكر أيضاً في طريقة وميله في الحديث اليه . واليوم يدرك شيئاً يتبدل أن يحظى فيه . لقد اوتقه زميله في شراك جملة . إنه لا يأتي بمح عن اليام . فهو لا يستطيع أن يقطع عن الحمى حتى بعد أن غاب اليام . أى صيد كان لابد يهجر انطقة فور وصولها من مصر . وهو يتمسك بحبال واهته . ما في المنطقة من سحر ليشده إليها هكذا . لماذا يأتي ؟ قمر التي لم تتحدث إلا بعد خمسة عشر عاماً ؟ . الشرطي الذي شكك جرح^{١٧} يديكه وأن احس بيباب غلته يفتح عنه ؟! الأرضة ؟ . العربات ؟ . البحر ؟ . العاصف المذعورة ؟ « هند » حاملة الحبوب وأملها التي لم يرها ؟ شجرة الثوت ولاكشاك الثلاثة والمعجوز الذي صادقه تحت الشجرة ؟ . كل ذلك مجتمعا ؟ . لا يعرف . لم تعد هناك فرصة أن يفكر أكثر من ذلك .

٤٨

لقد تذكر بعد أن مشى كثيراً فوق الرصيف ، أن ما نسيه هو الشجرة والأكشاك الثلاثة والمعجوز . إنه لم يرها حين انتهى من رصيف الباشا . لم يرها حين التفت ينظر . أنبسطت الأرض أمام عينيه . صغر مكانها مريحا حالياً مرتب . لقد نسي أن يجلس هناك لأنه لم تعد هناك شجرة ولا معجوز . احتضيا مثل الشرطي وقمر . ويحس الآن بالضيق يكاد يمجوه . لكن زيف أجنحة قوى ومتعاقب بلاأ المضاء فحة . ينظر . مظلة من العصافير كثيفة . اعصافير تساعد نفسها بقوة ريفتها على الاتزان في الهواء . المظلة لا ترتفع عن حافة الرصيف إلا قليلا . يقترب وهو يعرف . يود لو يتراجع ولا يستطيع . ماذا سيفعل الآن . ؟ كيف سيفعل الخيان والكره على القىء . هذا الثعبان اللثيم لماذا يظهر اليوم ؟ .



لا يعرف أحدا يكره الثعابين مثله . يكره شكلها المسبب بموجعة . رؤوسها المبعضة حيوتها الصغيرة . انتشر صابراخا . القى عليه تلميذ نجباناً ، قال إنه ليس بشعان . لكنه كان قد صرح . قال التلميذ وهو يضحك أنه من الجلد الصناعي . ضحك تلاميذ فقال إنه اشتراه من طوط من المولد . جلس الى النخلة مقهوراً . فتح الدرج . كان المدرس يكتب بتاريخ اليوم على السبورة . وهو يجاهد أن يمنع نفسه عن القىء . كان فاعل الدرج ثعبان آخر . والأولاد جميعا ينظرون اليه وينظرون . تقياً وبرزت عينه . اردت الانطلاق ومعدته . دار به الفصل . « يا حيوان » . هنف المدرس فزعاً من صوت القىء . كان قد بدأ بفارق الوعى . سقطت ذراعاه داخل الدرج وتلوثتا .

الآن يجد الظل حوله في كل مكان . الجو صار أكثر رطوبة . ليس هناك خمس كبيرة أو صغيرة . ينظر فوقه . سقف الرصيف سحب قائم قريب . كان قد اقترب من حافة الرصيف . فسره له سقوط عشب صغير جوار الثعبان وجود السقف فوقه . الثعبان يقف على جزء صغير من ذيله . يرتفع لماذا جسمه

الطويل . في فمه عصنور صغير سقط مع العشب . لقد مضى أكثر من نصف الرصيف ولا يدري . صوت العصافير وزيلها يدلهم لأن يني الموقف . امعاه تدفقه أكثر . الثعبان يتولى ولا تنمكس عليه أي أشعة . العصنور الصغير يلا يمشي . أحر الجلد . رغب قليل ينطفي أعلى رأسه . لأنه يراه حيناً رغم تراجعه . يرى حتى عظام سقيه والمظلة الباتعة فوق الإست . يرى متفاره الصعير جلد . والدائرة الصفراء حول المنقار . لابد أن يقتل الثعبان .



قال المعجوز فرعا « انتظر » . هذه أول مرة يره . كان جالسا مملا تحت الشجرة . غفى قليلا وأفاق فرأى ثعبانا رليعا صغيرا يزحف وليدا ناحيته . قفز واقفا مزعرا . تناول البندقية من الإمام ورفعها ليضرب الثعبان . وقف ينظر الى المعجوز متدهشا رافعا بندقيته . توقف الثعبان عن الرحف وبدأ كأنه ينظر اليه . انحنى المعجوز وفرد كفه فصعد عليها الثعبان . — إنه أليف .

قال المعجوز مبتسما . وجهه صغير يرى كوجه طفل . قال صياد الحمام لنفسه فيما بعد ، أن الشيوخ والأطفال يلتفون عند نقطة واحدة من خلف النوس . كانت المصون الكثيرة في وسه المعجوز ، تسر مضحكة حين ييشم أو يضحك . وظلت عياده طيبقتين ويرتدي داليم الملابس المخفراء للماسين في السكة الحديد .

تذكر الثعبان في يد المعجوز وبدأ نائما . ابتعد المعجوز به ثم عاد بموته . — وضعت خلف الكشك .

ظل صياد الحمام ذاهلا . اليوم شديدة الحرارة . بلنا له وكأن شجرة التوت أحترقت وأن النار تشتعل حوله في أركان المنطقة .

— أراك هنا كل يوم وتثبت أن اجلس معك .

قال المعجوز فصعج صياد الحمام .

— وملاذا بمنحك . الشجرة والمكان منككم وأنا غريب ؟

— حين تأتي أكون انتهت من الجلوس تحت الشجرة .

لم يفهم صياد الحمام . كان ذلك منذ أعوام قديمة . لم يشأ أن يتحدث أكثر من ذلك . قال المعجوز .

— حاول أن تأتي قبل ذلك وقت كاف .

لم يكن صياد الحمام يترك أنه يأتي في وقت محدد . فهو في أيام الصيف حين ترسل الشمس أشعة غبية ثقيلة في تتابع أعشى مقيت ، وتبدو التضبيان كأنها خطوط ثاجية كالحلقة صندلة لا تترك ، ويقع المازوت كدم أسود متخثر ، واضطرابات والاعربات ساكنة متباعدة في خصام أرب ، كأنها قطع أحجار ضخمة تركها طبيعة بلا عناية منذ تبرزها الأول ، حينئذ يمتنع للجلوس تحت الشجرة . ترك المعجوز ولم يفهم معنى أن يترك الثعبان الوفا ..

○ ○ حمل يفكر في حجر أو قطعة حديد يني بها الموقف . فكر أنه لن يستطيع الاقتراب مرة ثانية . وزيا أخطأ الثعبان فقفر اليه . صياد الحمام لا يقص ذلك . يعرف أنه لم يصطد شيئا طول خمسة أعوام ، لكنه لا يزال قادرا على التصويب . أبدا لم تقلم عيانه أو ترتش يده . لقد علمه رجل كان يصطاد الخمل الساري فوق الأرض . تركه أجل ا . يقوله من بعيد بمحطات غريبة حقا ا . لكنه — صياد الحمام — يستطيع قتل الخمل أو طلرات في الفضاء 11 فليجب إذن ظنه من تصور أنه لم يعد ماهرا . وليجب على الحمام الذي يخفي معتقده أنه حين يعد سيكون صيده قد هرح . إنه ، صياد الحمام ، طيف ليل في سار مشتعل . حم خافت في ليل شديد التقل . وعفى من قال أن خمس سنوات غيوله هم ثقيل . ورجته غيبة . الشرطي غي . قمر . هند . المعجوز . يأتونه ما إذا كان

يعرف عند الهيام ، ولا يعرفون انهم أصابعاً إلهامهم في العدد !! إن الذي اصطاد
 في جنح الباليي يماما كثيراً يحلم فوق العوازل وتحت الأسقف لا يبرح أبداً . الذي
 يركب فوق بندقيته كشافاً ربيع الضوء ، واختاروا كذلك تحديقاً للجهول ، وصمم
 على أن يكون قطر دائرة الضوء عند هيبته حين يصطلم بالسقف العالي ، لا يزيد
 عن حجم المصفورة !! ، ويبرح به الهيام ، ويبرح لندبها أنه ما صاد وخاب ، هذا
 لصياد لا يعرف المرم . يعرف فقط ، إنه ما يترك الضوء أكثر من مرة . لم يبحث
 قط . في كل مرة كانت جملة . قيل أن تفتح عينها تكون بين يديه . تسقط
 نائمة . يقطع إحلامها بفد فيه طيور وحسوب . لم يسمع ، لا هو ولا الهيام ،
 صوت حبة رش أصطبعت بالسقف ، لم يظفره جسم الهيام . إنه تغلب . بل
 يتعمص التغلب من صياد الهيام . وليسوف يقتل الثعالب بحبة رش واحدة . هذا
 المخلوق المقرز الذي لم يصدق أنه يمكن أن يكون أبداً .



— إنه ثعبان أعرقه . يعضي النهار فوق الأرض وبالليل يسكن سقف الكشك الذي
 أنام فيه . إنه « جتي » . الثعابين التي تسكن البيوت تألفها وتأنف سكانها ،

قال للمعجور فقال له .

— لكك فتحت يدك فصعد عليها . هذا شغل حواة .
 ضحك المعجور الذي بدأ يصبب الشاي . في المرة التالية . قال .
 — الحواة تحطم أسنان الثعابين أو تختارها من النوع غير السام . إذ لم أقبل ذلك .
 إنا نعيش معاً . ثم إنني تعلمت كيف أروى الثعابين من الحشر .

صار يذهب الى الشجرة في وقت يكون فيه المعجور جالسا تحتها . لم

يعرف هل قصد ذلك أم أن المعجور هو الذي غير مواعده لم يشكر في ذلك . صار
 يحس كأن السماء أرسلته هو والمعجور فقط الى هذه الدنيا ليعينا ترتيبها . تمت
 — الفة عظيمة بينهما حتى في أيام الريح والمطر .
 — يقولون أن عمر هذه الشجرة مائة عام .
 قل ، المعجور ذات مرة . قال صياد الهيام .
 — إنها قوية .

— ظلها عجب . يارد كاتلج
 كان ظل الشجرة كذلك مالا . استطرد المعجور .
 — هل جلست تحتها في الشتاء ؟
 — لا .

— تسقط الأمطار حولها ولا تطلوها . لاتصل ايها الريح الباردة . تنفتح دها —
 وضحك المعجور ذو الوجه الطفولي ا — أقول دائما أن داخلها بالشتاء همساً
 وبالصيف قمر ، وإيها بالليل تضيء حولها وتحتها ولا يصدقني أحد .



وهو أيضاً لا يصدقه أحد . ينصرون أنه صابر عاجزاً عن الصيد وخائفاً
 لتصويب . الآن سيقتل الثعبان دون أن يرى منه غير الرأس الصغير .

ينطح أرضاً ورأس الثعبان يعلو حافة أرميف بكثير . لابد أن الثعبان
 يعرف نقطة ضعفه . يريه أن يرى جسمه مبتعياً . لن يعطيه الفرصة .
 العصفور لا يزال وسط القمم . الثعبان لا يتلصق ولا يتركه . لا يأكله . الثعبان
 الحديث لا يتهيء المرفق . المدعو الأرني لمصافير يباهي بمصهور صخر كونا
 فارها ، وصياد الهيام لا يحب الزهو . أجن . محاجة الإنسان إلى كسر قلوب

العباد ١٩ . وما قيمة الانسان إذا كسر قلبه أحدا ؟ . صياد ينام لا يجب الظلم .
لماذا لا تأكل الثعابين الثعابين فيشيع الملل في العالم ! . هذا الكون الظالم هو
الذي جعل الانسان يأكل النعام . جعله يصفطاه . جعله ظالما .



— أنا قتاديلجي . أنت صياد ينام فقط .

قال العجوز فرد صياد النعام .

— أجل .

— ألا تصطاد الحمام ؟

ضحك . ظب نكته . قال .

— للحمام أصحابه .

فكر العجوز قليلا . قال .

— أليس لي حمام أصحاب ؟

فحاة . قال مرتبكا .

— لا أعرف . رأي أراه ساجي في القضاء .

ضحك العجوز بشدة وهمهم .

— لا عليك — وصمت لحظة — لكني لا أراك تصطاد هذه الایام . ألا تحرب
منطقة أخرى ؟

لم يشأ أن يبدل العجوز عن رغبته في استبدال لندقية بأخرى أكثر
وأقوى تقتل ماتحت الأرض وفوق السماء . ان يحدنه عم يشمر به هنا . إنه يتحول
إلى ريشة تطيرها النسائم ، يحس أن جده يتغير ويفتح لتنفذ من خلاله لذة
سرية . يرتاح ويتنفس من كل مسامه .

كان العجوز يندق انظر الى وجهه . جعل هو يندق النظر في طابور
صخور من عمال الدوسة يحشون يكادون ينكفرون . الأقدام ضخمة لأن أحذيتهم
كبيرة . ملابسهم الخضراء قاتمة . على أكتافهم « عتلات » علقت بها خلف
ظهورهم « مقاطف » لأيد أن بها قطعاً من الفحم والخشب يستعملونها في
إشعال النار في بيوتهم . وليس يبعد عنهم مجموعة أخرى تحفر في الأرض بعد أن
رفعوا قضيبين لأيد سيغرونها .

قال العجوز وفاجأ صياد الایام كماداته التي عرفها فيما بعد .

— أنت تشبه ابني تماما .

— هل لديك أولاد ؟

— واحدا . مات . كان صياد ينام أيضا .

أرتبك . أحس أنه سقط من سقف الرصيف فوق البلاط المربع الصلد .

لكن العجوز أبتسم . أراد صياد الایام أن يحول الحديث .

— أنت تصنع شيئا ثقيلا حقا .

— تعلمت ذلك في الصحراء من البلو .

— كيف ؟

— أصاب بمامة أسفل سقف الرصيف فطاروت ووقفت فوق عارضة ولم تسقط .
صعد بهاقي بها فسقط . ا



إنه ليس بظالم الآن . إذا كان الكون يناديه ويحجب عنه النعام ، فلقد سبق
وقبل النعام ابن العجوز . الصياد الماهر لم يعلمه كيف يكون النعام ظالما . لعله
نسى . ربما يستكمل الحادثة . ربما لأنه لم يخطيء في الصيد . قال له « لا تطلق

حبة رش واحدة في الفراغ . أصعب شيء أن يشعر الحمام أنه مطارد . ثق في نفسك وأطلق حبة الرش وستصيب . الحمام مثل البشر يظن أنه يمشي سريعا ، ولا يجب أن تسليه هذا الطي . بالعادة هي حقا تسيطر على الطير والحيوان وبني آدم ، لكنها وقد طال بها العهد صارت عين العقل . ألا ترى أن الناس حين يموت منهم أحد فجأة لا يحزنون كثيرا . إنهم يشعرون بضيقهم فيستسمون . وربما لا يشعرون بأى شيء . لكنهم يستسلمون . إنهم في الحقيقة لا يريدون لقاء الحصى في الماء الزاكد . السعادة ماء زاكد . لكن إذا مرض الانسان كثيرا قبل أن يموت ، أو أصابته حادثة ونجا لباعيا جراح الموت ، فالتاس تشعر بالظلم حين يموت ؟ . لقد فشلوا في علاجه في وقت خيل لهم أنهم قادرون . دخلوا حربا عقيمة مجرد أنهم حشروا في نفهم شيئا اسمه القدرة أو الأمل راجعوا حقيقة لم يحسوا مواجهتها . احتل العقل مكان البلاء ونسى المساكين أنهم لا يريدون ذلك . لهذا لا تطرد الحمام إذا جمعت . صوب بحيث تلعب حبة الرش في مقتل ، فتنسقط الجمعة من بين أوتريها . ستري الحمام يطير بعيدا ينتظرك . لأن يعرف أنه الموت لأنك لم تكن موتا . كنت صيدا وعليك أن تظل كذلك فلا تكون ظلما .

هنا الثعبان الذي يرى مظلة العصافير المدعورة فوقه ، هو الظالم الوحيد الذي يستحق القتل . شيء ثقيل يتحرك في معدته وعليه أن يتبي . لا تد لمس يده طويل ولا يعرف الوقت ، لكن لا يزال في الكون ضوء ولو شحيح ، وهو يستطيع أن يرى . صيد الحمام صبور حقا ، لكن تكذب عليه أن يعرف اللحظة التي ينحني فيها الطير . رأس الثعبان ليس بلامه . لكنه سيجعله كذلك .

تضايقه الخلاء المعلقة حول كتفه فيخلعهما بسرعة ويضعها جانبا . يبعد ما بين قدميه . يركز بطني الخذاكين على أرض الرصيف . يرفع نصفه الأمامي إلى أعلى ويصوب . رفات أجنحة العصافير صخب عاصفة ممقعة . رأس الثعبان

يختفي أسفل حافة الرصيف . يرى بقلعة شديدة حافة ظهر العصفور . لا يصطاد العصافير . لايفهم ، وربما لايفهم أحد ماذا ؟ آه . ربما لو اصطاد عصفورا مرة لم يمر السنوات الخمس بلا صيد !



— لماذا لا تصطاد العصافير يا أبي ؟

—

— خذني معك اصطاد . آت كبير تصطاد الحمام وأما صمير اصطاد العصافير . ابستم .

— لماذا حقا لا تصطاد العصافير ؟

— قالت زوجته وهي تضحك . كانت معطرة بعطر رخيص .

— لماذا لا تستحمين وتزينين هذا العطر ؟

— قلت وهي تبكي . سمع صوتها في الحمام . يجيء لكن لا يعرف ماذا يواعد بينهما . لا تتهذه أن يصحب الطفل وهو يريد .

كانت وهي تضع الأكل للحمام فوق السطح تنسقط فوقها أشعة الشمس المائلة فتجعل ظلها طويلا ممحا . كان يرونها . أمسكت بحماسة وكلمتها . عرف أنه يمكنه أن يحمل أشياء كثيرة . تودد أحاسنه . أدرك أنه يمكن أن يكون له تاريخ . حقا . لكن كيف بالذي ضاع منه العلم والعائلة والوطن . أى ظلام وأنى نور ممكن . ؟ في الصحراء إما أن تصرخ أو تموت . إنه يكره الموت رغم أن كل ما عرفه أحبه ! . قرى وحقول . تاس تتحدث في الهواء الذي يسمع كل شيء . حماة وعرة وإصوب . قطارات تنكدس فيها العرصات والأجساد . أخرى تنظر الميرون فوق الأرصعة إلى ما يظن من خلف زجاجها اللامع من بللور ! . محلات عمل فيها وحقول الخنى فوقها يتزود يزداد قليل تنلعه الرحلة القادمة ،

وهو يسأل لم تمر بكم امرأة بيضاء لا يعرف أحد لها وطناً ، رآها رجل أبيض رغم إنه من قاع الصيد ، فقال « أنت لابد من الشمال لأنك بيضاء ! » ولم ترد ، فقال إنها من ورة ظهر الدنيا ونزح بها وراء القضبان ثم تركها وتركته !!! يسأل والقرى الصغيرة تشفق عليه ، وتنحصر اعينها وشغلها ، وماتلث أن تعلق أبوابها الخلفية . المذنب الكبيرة ، توقفه على الجوع والموت فيحب الحياة هاربا من أبوابها الواضحة ، وهو الآن يريد أن يربح مرة .

أُتِيَهِ الى حجرته وعاد بين يديه بماء لم ينزع ريشها . جعس يفعل كما تفعل مع الحمامة . كانت الحمامة تسمع والبنامة خرساء . الحمامة ترفرف والبنامة ساكنة . حين أقترب من اسور الفاصل بينهما قال .
— هل تحب الحمام ؟

أشعة الشمس المائلة تمام فوق عينيها ووجهها المستدير . تألقت العينان السوداوان ولمع بياضهما . علمته عينا أنه أن يحب العين السود حين تواجه أشعة الشمس فيتألق البياض والسواد مبهرين . ولم قالت له أن عيني الحضرتين أجمل ولم يقتنع . تركت الحمامة من يدها فطارت هابطة منتضعة إلى بقية الحمام الذي يتفاخر فوق سطح ويهدس .

إقتربت منه ففعل كم هي حريفة الاسكندرية . هن حقا ستقبل عيه بالبراءة التي في معنى الفتاة ؟ . ثم لعلها الجسارة تختفي في مهد جميل ؟ . نسى أنه رأى على شواطئ الصيف وفي الطرقات حرارة أكثر . في رحة المساء الشتوية نساء يدور بين الهواء . كان لا يرى إلا أنه كل يوم يز . طن وسط صدور مخلوقة وعيون تالفة للرجال . وتساءل ويضحكن كثير ويخفن ويهزئن لكنهن لا يقلن ماذا يفعلن في المساء . كان يعرف أنه طفوس حزنهن المليئة اقل من أن تقال . ويعرف لم تستجيب لكنيات مهن في زوايا المصنع لأطراف الرجال ! .

وتسأل لماذا لم ينزل البحر حتى الآن ؟ . كيف لم يعلمه زميله الذي أحنته لسباحة . ؟ لماذا لم يعرف أن الناس قد يهرب البحر في كثير من الأحيان ؟

قالت ..

— هذه بيمامة ؟

— أسطاد الحمام .

— لكنها ميتة !

جفلت . تركت السطح غاضبة . أى حافة يصيد الحمام ؟ ظل شهراً لا يراها . أعلقت الإسكندرية باب بيجتها الذي بد أنها فتحة بجرأة أو براعة لم يعد يلري . لكنها ظهرت بعد شهر شاحبة . رنا إليها حزيناً وهي تستند على حافة سور السطح في تعب . لم تلتفت إليه رغم أنه كان يعرف أن رسائل عينيها الوادعة تصل إليها . جلست تنظر الى زوج حمام يتناغيان عنقاريهما . تلقى اليها حبا ولا بغيرقار . أجسمت لهما قابيسم لها ! اتفتت اليه وهي تنهض فرأها تبكي . للبشر طابع وأسرار حقاً . عرف ذلك جيلاً . فهملت معرفته الجفن الذي لم يحتر عليه طابع وأسرار حقاً . عرف ذلك جيلاً . فهملت معرفته الجفن الذي لم يحتر عليه يهد القفر متمك بالخسرة وخيت الإنسي السقيم . لكنه تسأل كيف لهذه الفتاة البيضاء كالشمعة ، الحشة كعود الورود يفرعها موت بيمامة ، أن تكون قاسية تحتفي شهراً ، وهي تعرف أنه ما ألى بالحمام إلا ليجد طريقاً ؟ وتعرف أيضاً أن عينيها الزائفتين خاليتان من الحبث . بل مليتان بدواعي وسكر الانسان في حضرة اسماء ! لكن من يشا الصيد يلتصم علواً للفراسة ويجهل شياكه ! .

○ ○ قال له المعجوز مرة .

— لأصنع الشئ مثلى إلا من حير الدنيا وعرف الناس !
كاد يصحلت لكنه جري الرجل فسلم .

— هل عشت كثيرا في الصحراء .

استلقى المعجوز حل الأرض . أشار لصياد الحمام أن يفعل مثله .

— عمري — وعقد كفيه تحت رأسه كشاب نشط — وأين ؟ . في فوكة . هـ
سمعت عنها . إنها بعد العلمين بقليل . هل تعرف العلمين ؟ أحكى لك . انكم
لم تروا شيئا من الدنيا .

لم يكن لمعجوز ينتظر أجوبة من صياد الحمام . كانت شهور طويلة مضت
على مرقبها لم يتحللها فيها عن كل شئ يرده المعجوز . بدا مثل قمقم فُتح
فجأة ولا قبل لأحد بقلقه لأن الجني الذي خرج منه سرق حاتم الأسرار ! جعل
المعجوز يحكى بلا توقف .

كان صياد الحمام متألما كأنما العصار التي هوت فوق رأسه سقطت فوق
رأسه هو مع كلمات المعجوز الكئيبة . تلك عت عشاة الكلب لكن فتحت
طريق وحيدا وراء سراب . هذه تقلب كرة الأيام ، ماذا ياعجوز ؟ ياطل ؟ .
هل تعرف أن صياد الحمام رأى بحر الاسكتدية ولم ينزله ؟ . كيف يفر الإنسان
الدنيا أكثر من ذلك ؟ ، رأى أن لا يجرح الرجل الطيب . فيسلم بأنه ما رأى
ويسمع

— كان هتلر سابق في الدنيا . وتشرش يلعب بالعصار لأن الألمان هاجموا الروس .
وحدثت غارة فوق فوكة والوقت ليل . جعلت القنابل وجه السماء أحمر والأرض
صارت قاعة فرن . جرينا من فوكة الى الممين ولاندي . أكثر من ثلاثين كيلو
وم تتعبر . م تتعبر .

— هذا غير معقول . !

م يرغب صياد الحمام أن يقاطعه . لكنه لم يصدق بالفعل . قال المعجوز
ببراعة شديدة

— لماذا ؟ . كان ذلك عام ١٩٤٢ . فلماذا لا يكون معقولا ؟

م يعلق صياد الحمام .

— في زمتكم كل شئ معقول . هل سمعت عن الذين جروا من العرش الى
السويس ؟

— هذا أيضا غير معقول .

قال المعجوز جادا .

— اذن نصف المسافة معقول . ونصف المسافة من العرش الى السويس أكبر من
المسافة من فوكة الى العلمين . لأنني أعرف ذلك جيدا من عملي .

— هل عمت في العرش أيضا ؟

قال المعجوز نافذ الصبر .

— أسمع ولا تقاطع .

أبتسم صياد الحمام . بدا متأدبا . فجأة قال المعجوز .

— هل تعرف أني مثلك لا أصدق ؟

— ألم أقل لك ؟ .

— أقصد ، هنا جرينا من العرش الى السويس !

صمت المعجوز . قال صياد الحمام .

— لقد جرينا مرة وجروا مرة

— أجل يا ولدي . لكن أحسا ما يقل انهم جروا !

وعاد الى الصمت من جديد . اعاده صياد الحمام الى حديثه الأول .

— ماذا فعلتم في العلمين ؟

استجمع المعجوز نفسه .

— وجدنا قنابلنا يتحرك الى الاسكتدية فقفزنا فيه . كنا أربعة أو خمسة . لا أذكر
الآن . قرر كل منا في العرة الأقرب اليه . وكان السائق هندية .

— هندي يعمل في اسكة الحديد ؟

نفس صير المعجوز مرة أخرى .

— يا ولدي لا تقاطعني . كان هنا عام « ١٩٤٢ » . أحضر الإنجليز جيوشا من كل الدنيا . استرالي ونيوزيلاند وأمريكان أيضا لهم ذبول . ألم يقل لك أبوك شيئا عن هذا ؟ . ألم يكن أكبر منك سنا ؟!

ضحك صياد الحمام عاليا .

— لم يأت قلت لك أن الجنود علوني كيف اسبك الثعابين . كان هناك ثعابين كثيرة في تلك الأيام .

وأكمل المعجوز حكايته الغريبة . لسائق الهندي كان أكبر جنونا من لطائرات الإيطالية والألمانية . المعجوز قابع في العربة التي خلف الماكينة مباشرة . لحقت الصائرات بالقطار . كانت القنبلة تسقط فوق العربة خلفها عن بقية الريمات . تشعل فيها النار وتظهر القضايا والفنكات والزلط مشتعلة متصادمة في الظلام . يظل القطار مسرعا يسبق الطائرات . بدأ كأن الأمر محسوب . قبلة قنبلة وتفصل العربات عربة عربة لتشتعل وما تحبها . في النهاية لم يبق غير الماكينة والعربة التي بها المعجوز . وكأن السائق الهندي كان يعرف أن للمعجوز أصداقا من الجنود الهند ، صمم هي أن لا تلتحق الطائرات بهما . لكن الصائرات ظلت تطاردهما . المعجوز يرى سقوط القنابل حنف العربة والأرض تنفجر . يشتعل الظلام ثم يعود فيشتعل . ظل مترقعا سقوط قنبلة في أي وقت فوق عربة أو فوق لقطار . بن معنى ذلك ليتنبى التوقع المربع .

— هل جرت ذلك يا ولدي ؟

كان المعجوز مغمضا عينيه .

— إنه وضع صعب .

— ربما لا تصدق . ؟

صمت صياد الحمام قليلا . قبل .

— إني أصدق كل شيء .

قام المعجوز ليضع كور الشاي الأسود فوق انار بعد أن ألقى ما به بعيدا ، وندج بماء وسكر وشاي مما . اعتدل صياد الحمام . جعل ينظف يديه . لاحظ بقايا نقل الشاي التي التي بها المعجوز ، وهي مسعة كرت مبه قائمة في صف واحد فوق الأرض . عاد المعجوز ليجلس ويقول :

— كنت أتوقع أن يبق القطار في الاسكندرية لكن كانت هناك غارة شديدة على المدينة سمحت صوبها والقطار يسور حوفا . بل رأيت النهب يرتفع من قلب المدينة . إنها غارة مشهورة في الاسكندرية أحصاها غارة البست ساعات . لليلة كلها كانت مشهورة . ولما رأيت أبرج الحمام وسط الليل ادركت أن السكة فتحت بالقطار إلى القاهرة . قررت التزول في كفر الزيات . قريت قرية منها . هل تعرف كفر الزيات ؟

ماذا يعمل به للمعجوز ؟ فكر صياد الحمام . لم يشأ أن يجيبه . ولأول مرة ، وبعد شهر بعد ذلك فكر صياد الحمام كيف أمضى المعجوز الوقت تحت القنابل حتى ابتعد عن الاسكندرية . وعلى قدر ما رأى من ضعف البشر فون الوقت الذي أمضاه المعجوز منتظرا موته تحت الغارة جمة لا يصدق أن الإنسان كان يمكن فخره . وفي يوم شتوي دالء السمعت فيه لشمس وجلست مرتاحة فوق الأرض ، أحس صياد الحمام أن المنطقة الواسعة ذات الأرض السوداء والعربات المعلقة والأرصفة القذرة ، صارت يضاء تمكس بهاء النور ، وتدفع العرب إلى الانتعاش وامتنلاك لاسرار . فكر أن المعجوز الذي يتحدث عن خيرة الزمان لا يسخر منه أو يقصد بذيده . ربما الأمر عكس ذلك تمام . ربما يعنى لو لم ير شيئا مما خبر . أو لعله يحد لصياد الحمام انجدة . في عصر ذلك اليوم سألته .

— لماذا سألتني ماذا كنت أعرف كفر الزيات ؟

صمت المعجوز قليلا . قال وهو يتراجع يستند إلى جذع الشجرة .

— هن ضابطقت . ؟

أدرك صياد الحمام أن ما فكر فيه صحيح . قال .
— لا .

قرر أن يحول الحديث لكن المحجور بادره قائلا .

— إنها البلدة الوحيدة التي لم أعرفها رغم قرب قريتي منها وعلمي في السكة الحديد . ورغم ذلك أكرهها !

لم يعرف صياد الحمام كيف يحول الحديث . صمت .

— كان لي أخ ناشر يقول عبا دائما بهذه مئة تقع على نصف الطريق بين القاهرة والاسكندرية . فلا هي حقت بالبحر ولا النيل . حتى النيل يمر عليها مقطوع الزراع .

وصمت المحجور قليلا .

— كان غريبا يكره كل ما هو نصف نصف ، لم يكن يفهم أحد من الأسرة .

استمر المحجور يتحدث متقطعا . بهذا كأنه لا يحدث أحدا بعينه .
وصياد الحمام الذي ظن أنه أبتعد كثيرا عن الماضي كان يتراجع إليه .

— كان أبي يعذبه كثيرا لشقاوته وهو صغير . مات أبي فتطوع في حرب فلسطين وعمره ثمان عشرة سنة . عاد برصاصة مستقرة جوار القلب بيزفر متحدا في السياسة .

—

— تطوع مع القدامى في حرب انتفاة وعاد برصاصة في فخذه ، وقال أن النحاس باشا صار مثله يكره كل ما هو نصف نصف . هل تذكر النحاس باشا . آه . كنت صغيرا يولدي .

أحس صياد الحمام بالعطش لماء بارد . لاحظ أن الزير الكبير القائم أمام أحد الأكشاك الخشبية الثلاثة قد سقط غطاءه جواره ، وفكر أنهم لابد أنهم ملوه هذا

٦٤

الشتاء رغم إنه جاء دائما .

— صار مدرسا فقننا أن المياه سيئته والرواج ، لكنه تطوع في معركة بورسعيد وعاد مصابا أيضا .

وحين قال صياد الحمام لنفسه ، إن اللاعب الذي يمسك بخيوط الأيام ، لا يمكن أن يجعلها تتقابل على هذا النحو العنيف ، قال المحجور .

— جاعيتي زوجتي يوما وقات إنه اخفى .

رأى صياد الحمام أمامه لأول مرة ، وجهها هراما عمقا يكره بدموع شميعة . حاول المحجور أن لا تسقط كوب الشاي من يده المرتعشة ، ونجح بعد أن أمسكها بيده . قال .

— قامت يولدي حرابا بعد ذلك . لابد أنه لو ظل حيا لاشترك لي أحداها أو قبيحا .

كاد أن يفلو إنه ان يته إلا أن يُفعل .

صمتا طويلا في ذلك اليوم . تسلمت البرودة إلى القصاه من حولهما .
أقرب الليل بسرعة . قال المحجور وصياد الحمام يوشك على الرحيل .

— تعرف ما أجمل شيء ؟

لم يرد .

— سحلب القنديل ، إنني حين اصعد فوق السيمافور لأخير زيت القنديل أصعب نخذي على زجاجه وارتاح . أجل . كثيرا مائت واثقا على السلم ومحتضنا السيمافور ونخذي على زجاج قنديله البارد الرطب .

موت الأيام ولم تنقطع حكايات المحجور ، رغم أنه كثيرا ما حركت ماء ثقبلا حارقا ، إلا أن العجوز واشجرة كانا عظمة حلوة .

تحت الشجرة .



اليوم أخفى العجوز والشجرة والأشراك الثلاثة . يسأل صياد الحمام نفسه واللعان الخبيث لم يرتفع رأسه بعد . يمكن أن يحدث هذا في ليلة واحدة . تخفي « قمر » و « الشرطي » و « لعجوز » والأشراك جميعا . الانتمان الخبيث يمكنه أن يفعل ذلك . وربما يخبر الله وجه الأرض أى لحظة يشاء . إن الذي جعل الأعرام الخمسة تخفي شجرة واحدة بل صيد لقادر أن يجعل الأوصفة تصعد فوق السماء . لكن إن تخفي الشجرة العظيمة فهذا هو اللغز رغم بساطته . الأشجار لا تدخل في حساب الانتقام . إنها موئل راحة وصدر حنان . الله يخلق الانسان ليأخذه . الحياة غزل مقيت بينهما حقا . لكن صيد الحمام لم يسمع أو يقرأ أن الله يعازل الأشجار ! . وشجرة النوت الوادعة العجوز لا قبل لإنسان بقطعها . فمسها وقمرها يبدلان ثورة الانتقام .

يلترك صياد الحمام أنه ما رأى اليوم غير أوصفة ميتة ، وبضعة ملقاة متباعدة ، وقضباناً سوداء متشابكة ، وأسلاكاً متبدلة ، ويقع من المازوت الأسود سقطت من سحب حمقاء . وإنه لم يشاهد حتى عامر دنسة واحد أو وحيد يعيش سليماً أو يفرج بكشفه المائل ! . لكنه لا يصدق أن هذه علامات موت ! الموت لا يأتي بشعا هكذا إلا بإصرار . وصياد الحمام ما تحذر أحداً أو إله 1.آه . بالائن قال العجوز .

— أراك صاحبت الشرطي مؤخر .

— لكني لا أحبه مثلهما أحبك .

ضحك العجوز وقال .

— تحب قمر ؟

حاول صياد الحمام أكثر من مرة أن ينهي يومه دون المرور على العجوز فلم يستطع . كان ينور في انتصقة ويدور ، يجد نفسه قبل أن يتصرع اليوم ماخضيا إلى الشجرة . في كل مرة يجد العجوز جالسا تحفا مهما اختلف الموعد . كثيرا ما يتردد في الحديث لأنه يخشى أن يبهج ، إذا تحدث عن أى شيء . ذكرى شجية عند العجوز عرض الخفاة . لكنه كان يتحدث ويسأل . صابر العجوز لا يصمت ولا يسو على وجهه أمي . بل يصحك ويصعق يديه كقطفل .

قال إنه نسي أمر زوجته منذ أتمت الحرب العالمية الثانية . لقد امضى الحرب في فوكة حارصا على خزان مياه ضخيم يده الحساء تحت الأرض . وليلة العارة الشهيرة قفز من القطار عند محطة كثر الزيات . كان القطار لا يقف والسائق المتهنى بدا يريد أن يلحق بالأجرة ! . أصيب العجوز وعوج أربعين يوما في طنطا ، وعاد لي العمل حتى تنتهي الحرب . وصف لصياد الحمام الأعداد الهائلة من لفتى بعد معركة العلمين . كم رأس وجدها في خزائنها بلا اجساد ،

وكم قدما في حذائها بلا ساق . وكم خاض في دم منتر . بعد الحرب عمل فراشا في القطارات ينظفها في المخطات الجوية ، ويحس وحيدا وسط لمقاعد الصفراء وتحت الضوضاء الشحيح يني 1 يوليو قل في 1 لعبد الوهاب نرق وصار عطشجي يموت القطارات بالمحم والمياه ويشعل النار . تغربت القطارات وجاءت غيرها لا تعمل بالمحم فصار « عولجا » يقوم بالعمل على التحويلات الأرضية . وأنهى به الأمر « قنابجي » يشعل القذليل ويحرق زيتها وفنائها ويرتاح على رجاها . في رحلته الطويلة كان يبرو زوجته كل شهر أو شهرين . بعد أن استقر في الاسكندرية تترك زوجته قاضرها . هوى ابنه الصيد فحاة ومات . عادت زوجته إلى القرية . كرهت الاسكندرية ولم تر بحرهما . رايها مرات قليلة لكنها صارت زهدة في الكلام . بدت قد اعتزلت الدنيا والبأس . لماذ إذن يسافر اليها ؟ كان العجوز يضحك . إنه راض عن العيش في هذه المكان مع الثعابين ومتنظر موته

هناك أيضا . ولأن يتساءل هل كان لهذا السؤال من معنى لا يفهمه ؟ لكن
العصافير تصخب ورأس الثعالب يظهر ، فتصرخ حبة الرش الى حذوها الذي
انتظره كثيرا . يحس بالعرق قد بل ملباسه رغم ظل المكان وبرودته .

○ ○ يريد أن ينام في مكانه . يريد لو يتحول الرصيف الى خيمة داخلة .
يرى مظلة العصافير تطير متفرقة ثم تعود متتابعة . افزعها صوت انطلاق حبة
الرش . لكب تطير من جديد ولا يجد العصفور الصغير معب . إنه لا يستطيع
الطيران . وربما مات . لكن العصافير التي كانت تصرخ من اجله لم تحمله . لماذا
إذن تجمعت ؟ لماذا قتل الثعالب ؟ . أى حماقة يرتكبها الجميع .

لم يشأ أن ينض يقرتب من الثعالب الميت . يدرك أنه سيرى رأسه مغطى
بالدم ، وربما السم . وسرى طواير لم تلأى من كل اتجاه لترحف فوق الثعالب
محل صغير قدر ينظر قايه في شقوق بعيدة لا تلفت الأنظار . وربما لا تخطر ببال
أحد ، لكنه يظهر بعد أن ينهي كل شيء فيكون هو الغافر بالنعيم : و يمشي
متفردا أو متجمعا مزهوا بنفسه فيملاً أعين الأغنياء ويسد الطريق . وصياد الحمام لا
يريد أن يتقيا . لكن هل سيظل مبسطحا هكذا ؟ . هل حقا سينام ؟ . إن
الصوت الفاتن ، العاهر ، يسقط فوق رأسه تصحبه ضحكة مجلجلة واهتزاز في
الكون .

— تصطاد الثعالبين ؟

كان قد بدأ يتذكر أن طفله في الصباح لم يطلب منه أن يصحبه لمصطاد
العصافير . قال فقط « عندني معك أصطاد » . لكن الذي قال « أنت كبير
تصطاد الحمام وأنا صغير أصطاد العصافير » كان صوته أجهل ووجهه أبهى . صوته
الآن تجري في الفضاء .

اجسم صياد الحمام . استطرد المعجوز .

— الشرطي « موسى » هذا لغز كبير .

صمت صياد الحمام الذي لم يكن قد سأل الشرطي عن اسمه . يريد أن يسمع
فقط . عرف كيف يحدث المعجوز .

— يقولون إنه منذ ثلاثين عاماً وهو يحس في الكشكش . ولا يفعل هذا الا
حيث !

داوم صياد الحمام الصمت .

— يريد أن يتزوج من « قمر » . كثير ماعاد الى المنطقة بالليل ليحدثه في
ذلك . في كل مرة ترفض فيجلس ويكي أمام الكشكش .

دهش صياد الحمام . قال

— كل ليلة يفعل هذا . ؟

— ولا يزال . لم يكف ولم يصل . لابد أنه بيت انية عى غدر .

صمت صياد الحمام قليلا . قال

— إنه لم يذكّر في شيئا عنك . ألم تتحدث معه من قبل ؟

قال المعجوز على انغور .

— لماذا اتحدث معه ؟

لم يفهم صياد الحمام . صمت وفكر في القيام . قال المعجوز مباعاً .

— مازلت مؤملا في صيد الحمام ؟

لم يرد .

— أنت بالتأكيد لا تعرف عدد الحمام الذي اصطدته ؟ انني مازلت اعرف كم كان
عدد مركبات الانجليز في فوكة واعرف كم ربما عملت ليلا أو نهارا !!! .

للمرة الثالثة كان يسمع السؤال . ترك المعجوز متعجبا من الجميع اتجه
الى رصيف القصب حيث جولته الأخيرة . لم يكن يدري أنه سيسمع السؤال

يخس أن جسمه صبر ثقيلًا لا قبل بروحه على جملة ! . الخلدعة ليست في
الذي علمه لصيد واختفى . ولا فيمن احتفظوا بعد أن سألوهم السؤال الغامض .
الآن يدرك صياد الهم أو يكاد . لكن الصوت سرعان ما جرب من أذنيه . الصورة
البيبة تضع من عينه . لا يسمع إلا الصوت الجميل الماهر يتردد من بعيد كأنه
نادم من فوق السقف .



قام مستندا على يده اليسرى بينما كانت تضعحك . علق البدقية والخلافة
حول كنفه . جعل ينظف ثيابه .
— أنت . ماذا جاء بك اليوم ؟
— إنني أجيء كل يوم . وكل يوم أجمع الحبوب المبعثرة فوق الأرضفة .
— اكبت فوق رصيف القصب . ؟
— شاهنتك وأنا على رصيف الحبوب .
قال وهو يسير .
— هل امك معك ؟
ضحك .
— إننا نقرب من الليل . إيا مع شرطي الرصيف .
م يكن في حاجة إلى ما يحميه منها فحسنا هو اليوم . قالت وهي ترتدي سروالها .
— سأراك عدا

كانت عربة السكة الحديد معتمة حولها . دائما هي كذلك . إنه لا يسي
وقع ضربات أقدامهما حين يتهاوى الكون ، وتتساقط حجب القبح وتتكشف
جدران العربة عن دنيا بيضاء بيضاء . لكن وقع الضربات لم يفرعها قط . ليس
في الكون ثمة أحد يسمع . وهما لا يسمعان إلا بعد أن ينتهيا . ويسمعان صدى
٧١

بعيدا جيلا . وجهها احمرى يصيبه أمام عينيه . يتراجع وجه زوجته الطيب . م
بعد كما رآها حين صعدت فوق السطح بعد طول انقطاع . كانت متألفة سعيدة
تكذب ترقص فاندفع قائلا .

— هل تقبيل الاختدار ؟
أقترمت تتأيل ضاحكة . قالت .
— من أنت ؟

وعضت شفتي السفلى فكاد يمسأها من أنت ؟ لكنه قال .
— صياد عيام .

صمكت حتى خالفا تغازل الكوند السابح في جبة النور . أوشك أن يصحك
فأمست . وجهه ليس مثل وجهها في جهه .
— فقط ؟

قالت واقترعت أكثر . قال .
— أعمل قيانا . لكنني صياد عيام .
— صيد الحمام ليس عملا .
قالت ذلك ثم وضعت سياجها على شفتي نجسي .
— لم ؟

أغمضت عينيها . حقا لم ؟ قالت .
— لماذا أردت الاختدار ؟

أزنت . غويت الموضوع فجأة . هل هي حقا تعرف طريقها . أم أنها
الاستكديرة تطبخ ابتاءها بالفرح والانتلاق ؟
— لا أعرف . لكن يبدو أنك غاضية منى .
— أنا لا أغضب من أحد .

ولم يعضب . صارت زوجته . م تنفضه . وحتى الآن لا يبدو عليها غضب
تراجعت عيناها كما تراجعت عيناها . ذبل وجهها كما ذبل وجهه . خمسة عشر
عاما شيء كثير حقا على طائرين . لكن ليست السنون وحدها هي التي باعدت

بينهما . لقد صارت أكثر طيبة ووداعة . لكنه يعرف الآن أنها تود من الدنيا الاستحباب . تماما كملوك احمق صدق أن الأرض أجمل من السماء . لكن كيف ظل هو متواثنا . تعرف زوجته مالا يعرفه . ربما رأته مالم يره . لماذا لم يسألها من قبل ؟ لماذا ينسى كلما قرر . ؟ . إنه لا يصدق أن أحد جامعة الحبيب الجميلة صارت مرفأ رغم أنه صار يسعى إليها في العام الأخير كثيرا . كانت صغيرة حين رآها في كشك الشاي أول مرة . كان ذلك منذ عشر سنوات . يزعم لنفسه أنه أخذ بجملها البزء . وجهها الحمرى وعينها اللوزيتين اللتين لا يعرف أسوداوين أم عسلتين . ؟ يعرف فقطد انهما ماكزى كهيون الأفتقال . يزعم أن ملابسها الواسعة المزقة كانت جميلة . سألتها قالت أنها جاءت مع أبيها وأمها من الصعيد في رحلة لم تقمهما حتى بعد أن كبرت . أن أباهما الذي كان حفيوا فوق رصيف القصب بنى لهما كشكا تحت كوبرى التاريخ عاشوا فيه ثلاثة ، حتى سمعته يقول لأمها إنه شجر من كل شيء . قالت إنها وهى صغيرة كانت تصعد من تحت الكوبرى لشراء شيء فزاه يزن القطن ، ولم تكن تعرف أنها ستقابلها بعد ذلك . وإنها صعلت مرة ولم تجده ، ثم لم تعد تراه كل يوم فتم تعد تنظر الى من يزن القطن . لم يصدق . قالت لماذا لا يصدق ؟ . لم يرد . صارت ناضجة عملا عليه وتمرر روحه . قال إنه كان يظن أبيا حين تذهب مع ابيا الى كشك « قمر » ويشفق عليها . لكنه لم يفكر فيها حتى فوجيء بها كبيرة هكذا . قالت إنها سمعت أباهما يقول لأنها أن رحلته للاستكسدة خابت . لقد جرب أن يمسح الأحذية لظفاره الشربة ، وكثر الوحل حتى شمت الناس من مسح الأحذية . جرب أن يبيع الكحك أمام المدارس فخطفت منه الأطفال أكثر مما باع . أن يبيع البجين والملش جوار الكوبرى فضربه الباعة اقتداسى ، رغم أنه يكس من تحت الكوبرى ، وهم لا يعرف أحد أين يعيشون . إن صحنه ضئيلة . وربما هو انصيدي الوحيد في الاستكسدة الذي لا يستطيع العمل في الحراسن . وحراسة انقصيب موية ، وشجار القصب يصبون الدم قبل السكر . ثم سمته بعد ذلك يتحدث عن اسفن التي تأتي الى الميناء ، كيف سيجعل فوقها وكيف أنها مصدر

مال وهديا كبير . ثم أنه وسم يستطيع أن يتطلع الجلباب ويرتدي بدلة العمال الزرقاء . ولا حدثه مها عن الغياب ، قال إن رحلات اسفن قصيرة مها طالت لأن فرحة اللقاء العاتية تنسى كل شيء .

— ألم يعد أبوك بعد ؟

كان لا يريها أن تنصرف . سألتها وهو يعرف الأحذية . وإنها لم تعد تتحدث عنه منذ أكثر من العام . وهو في الوقت لذي رأها تحول أن تنسى كان يذكر أباهما . قالت .

— أما زلت تذكر ؟

فكر كيف إنه على طول معرفته بها لم ير أمها من قبل . لا بد أنها تنسى مع الشرطي احزان كثيرة . لا يسيق أن يكون ظلما الى النهاية . ن يسألها عن ذلك وسيبتمس . لقد حمل المسكين حرنها ولم يخبرها . وحتى الآن لا يعرف لماذا فعل ذلك . ربما لأ صياد الحمام دائم البحث فوق الأرض عن أشياء طائرة في الفضاء

○ ○ حتى تحدث لأول مرة مع أحد رواد البار ضحك الجالسون جميعا .

قال أكثر من واحد « من أنت يالأخ . هل أنت معنا في البار ؟ » . كان أصحاب ثلاثة وجوه يرتاح الى رفها هم الذين يقودون انضحك والكلام . أحدهم هو الذي خاطب . انقلبه الجرسون .

— لا مؤذنة باحاجة . ليك دالسا محرم . أنا شيت والبيك محرم منذ أيام الشباب !

ادرك الجرسون أنه صب الزيت على النار دون أن يدري ، فاسترق في الصلحك واؤاد المرح . كان يمكن لصياد الحمام أن ينسحق . أن يخرج . لكنه وجد نفسه يصحك . أمر مقير للضحك حقا أن يتحدث بعد السنين الطويلة الصامتة . وكيف تحدث . لقد همس

— حضرتك تعمل في الميناء ؟

ونوجيء بالصخر يسقط من فوق الجبل . الخفض الضحك كثيرا وترددت أصوات اسعال في أكثر من ناحية ، يبا قال الشخص الذي هس اليه ،

— لا . لحقيقة الميناء تمس فينا جميعا !

وقام ضاحكا صابرا المنضدة بيده يخاطب الجلسي .

— بسأئلي إذا كنت تعمل في الميناء . أخيرا عرفت أن الاسكندرية لا تعرفني .

عد الضحك والضرب بلاء المكان ! . لبعض صار يعمل بقوة والبعض يهبط فوق الأرض . قال نفس الشخص الذي كان متوسط العمر مثل رفيقيه .

— أخيرا نطق قاييتاي !

إذ فهمهم يسمنه قاييتاي وهو لا يدري ، طول السنين الماضية كان مثل القلعة الرابضة عند الطرف اشرفي من المدينة لا يعرف أحد لها عملا . وقال أحد ثلاثة .

— مشروبات قاييتاي كلها عندي .

— لا عندي وسيدي العلوي .

— لا . البار كله يشرب على حساني .

قال الثلاثة ثم نهضوا وانفخوا حبالسين حول منضدة صيد الهم ، وتطلعوا اليه جاهدين في قمع ضحكهم .

— لا مؤاحلة . ليس فينا من عصب .

كان يشمر بوجهه الذي لا يراه ، يتنقل بين الألوان ساحا كما يتنقل القطار بين أعمدة سلاك التليفونات . لكنهم فوجروا به بعجز ضاحكا مرة أخرى فنادوا بضحكهم بينا هماً بقية الرواد وانشفوا عنهم .

— حقيقة ماذا نقول ؟ أن خدماتك كمال

تردد صياد الهم قليلا ثم قال .

— فقط كنت أسأل ما إذا كنت تعمل في الميناء ؟

قال كمال على المرر .

— أنا أعمل في الميناء . سلامة يعمل في الميناء . مصطفى يعمل في الميناء . — وبعد لحظة — كلنا مينا موحد القطرين !

عادوا يصخبون من جديد وصياد الهم يضحك معهم .

قال سلامة .

— كمال ثانوية أهرمية . كان الممرض أن يجلس في الجامع فجلس على ظهر البحر .

بدا إنه م يعد ممكنا اضحك أكثر قال كمال .

— و أنت ؟

— على . صياد الهم .

لاحظ أن هذه أول مرة يقول فيها اسمه لأحد بعد أن ترك عمله في مكاس القطن .

قال كمال .

— على لن يهنا ، سنسميت صياد الهم . هذا أجل .

قال .

— كنت أريد أن أعرف كيف تسالون ؟



عرف أن هناك أكثر من شركة ملاحة ومكتب لتظيم رحلات العاملين لمصريون على السفن . إن كل سفينة تأتي أو ترحل تسجل رحلتها وأسماء المصريين الذين يعملون فوقها . إنه لا يمكن وقوع خصم إلا إذا أراد أحد أن يهرب من البلاد . يخبرهم أنه يبحث عن قهلب له من الصعيد أسمه « مرعي أبو الذهب »

خرج منه ثلاثة أعوام ليعمل على سفينة لم يقل لأحد عن أوجهها أو رحلتها أو جسيبتها ، وحتى الآن لم يعد . وعدوه بالساعة ، لكنهم احتضوا .

حين ظهوروا من جديد ، قالوا أن الناعمة التي كانوا يعملون فوقها ، غرقت في البحر الأسود بعد عاصفة سوداء ، وهم انتشلوا إلى ميناء أوديسا بأعجوبة . من هناك انتقلوا إلى العمل فوق باخرة إيطالية قطعت رحلة طويلة إلى بنما . هذا هو سر احتجازهم لمدة عام . وجعلوا يضحكون . سألوهم إذا كان قريبه قد عد فطلب منهم مواصلة البحث . أمضوا أسبوعين في الاسكندرية أخبروه خلالها أنهم يبحثون في سجلات لشركات والتوكيلات املاحية عن قريبه هذا لكنهم لم يصبوا إلى شيء . قالوا إنه لم يسافر على أى سفينة . لم يكن هو يغير العتاء بشيء مما يقمعه . وحتى الآن لم يخبرها . ولا يعرف لماذا كان يريد أن يعيد هذا الغائب من وراء الأفق .

بعد شهر عاد مصطفى وكال . أخبراه أن « سلامة » انتقل للعمل فوق سفينة لبنانية . سلامة يحب بيروت دون موالي الدنيا كلها . أنهما سألا عن قريبه المقبولين الذين يعملون في شحن وتصريف السفن . وهكذا يكون البحث قد تم عنه في البحر والبر ولم يُعثر له على أثر . لم يعلق .

بعد شهر عاد مصطفى وحده إلى البر . أخبروه أن سلامة لم يعد حتى الآن من لبنان . ضربت الزوارق الإسرائيلية السفينة في ميناء صيد . المصري الوحيد الذي كان على السفينة اللبنانية غير سلامة عد ، وقال أن الضرب تم ورسالة عن الشاطئ . قال صيد الإمام . —عله يعود بعد فترة .

قال مصطفى .

— إننا نتظر . نقد حذرناه من خط لبنان .

قال صيد الإمام .

— أين كال ؟

قال مصطفى .

— أم نقرأ في الصحف ؟

— لا . ماذا حدث ؟

— إنه المصري قتل إيطاليا في نابولي .

وضع صيد الإمام كأس الرزم وبظر دخده . ماذا يجري ؟ تمحطم السفينة فوق الماء وسلامه فوق الأرض ولا يعود ، بينما يعود من كان بالسفينة وقت الضرب . وكال يقتل بعدلها في نابولي ؟ يتحدث كل هذا لأنه سأل عن رجل ته أو احتفى . لماذا لم يطل صامتا في أبار ؟ قال شارداً .

— كيف ؟

وصل البار الصغير متسعا من الحلاء المفرغ من الهواء ، خائفا وقايصا . يدأب أشياء غريبة مثل الخلل وليست مثل الخلل ، إنه لا يلتركها تماما ، تخرج من أعلى رأسه ، وهواد ثقل أسود يصل فرغ لرأس .

حكى مصطفى كيف قابل كال صديقا إيرلنديا في نابولي يعمل على باخرة انجليزية فقرر أن يترك السفينة الإيطالية ويعمل مع صديقه الإيرلندي الذي كان يعمل معه من قبل منذ عشر سنوات . لكن القبطان الإيطالي رفض أن يتركه إلا في مصر حين تعود السفينة مرة أخرى . كال كهربائي قادر به سمعه فوق السفن ويستطيع ترك أى سفينة يعمل على غيرها فورا وكثيرا ما فعل ذلك من قبل . وإذا حدث ورفض قبطان عطائه حواز السفر وتسريحه كال — كال — بيرب . إذا قبض على سيبيدوني إلى السفينة إن ظلت في الميناء . أو إلى السفنارة المصرية .

لهم - آخر مره كانت منذ أسابيع ، ليلة أن حدثه الشرطي عن الطفل الحميل الذي دمه القطار .

لم يذكر صيد الحمام أن يخبر هند بشيء . تاق حقا أن يأتيها بخبر لم يتكتم بحته عن أيها خويلا أو ترعقا لمشغل . أراد أن يكون صاحب مفاجأة سارة لاحد أى أحد . كان البحر مفاجأة .



قالت واجهه .

— يبدو أن كلاً منا قد ارباح إلى حياله .

لم يفهم . قالت مبتسمه .

— ثم إنني أكبر وأصغر حميمة .

ضحكت وهي تقترب منه . تعرف أنه حين يراها يرتبك ، منذ خمس سنوات حين شاهدها لأول مرة في كشك الشاي مع أيها ، كانت جلسة الترفصاء حول كوم من حبوب القمح . انحسر جلبابها عن ساقها فكشف جردا من أعلى الركبتين لسرداويو ، (إنما تركز عليهما كثيرا) . قال في نفسه وهذا مرتبكا فأدركته . هذه المرة لم يرتبك . اقترب منها . أرادت أن تراجع . لم يتحدث أن كان قويا من قبل . إنه يهواها بحق . لكنه اليوم لم يتعلم أو يرتعش . اقتربت عنه يعود هاويا ! قالت .

— يكفي مره واحده . أمي في انتظار .

— قلت انها مع الشرطي .

وجلها . قالت وهي ترفع سروها الى وسطها . لم تخلعه هذه المره . تركته معلقا فوق احدى عقيبها .

في احوالين لن أخسر » . وهكذا يقرب دائما ، ولقد هرب أكثر من مره فشل في بعضها ونجح في الأخرى . كان يستطيع إستخراج جواز سفر في أى وقت . علاقاته عليه مع سلطات الميناء في الاسكندرية سهلت له ذلك . هدياه كثيرا وأن تسرب معظمها الى نساء شارع الحجازي .

هذه المرة هرب كمال . حذره مصطفى . « القبطان فرسان صقل أعرج شرس لابد كان لص سفن في قبرص أو مالطة » قال كمال لمصطفى قبل أن ينزل الى المدينه التي عريد في أحد باراتها عريضة استندوني . « يعني ماهاشن لأمة » قال مصطفى . انتهت العريده بأن ضرب البارمان بزجاجة فوق رأسه فمات . لم يسمح القبطان لمصطفى أن ينزل الى المدينه ليتابع قضيه صديقه . « أبا لا أمست جرأة كمال . لكنني لا أصدق أنه يقتل » . قال مصطفى .

عاد صياد الحمام من الخلاه الخائق . في عودته واجهت عينيه عين ضمس صفيق حمره حاده قاسيه . عرق كثيرا يشكن ملفت للنظر . قال مصطفى . — أخبرت سلطات الميناء فوجدتهم يعرفون القصه . عرفت أنها نشرت بالصحيح .

لا يعرف صياد الحمام لماذا فكر أن يسأل عن أسرة صديقه . إنه لم يسأل أحد عن أسرته منذ وصل الاسكندرية . كل ما عرفه من الذين عرفهم سابقوه اليه دون أن يسألهم .

لا يعرف أيضا لماذا لم يسأل !! ترك البار ولم يعد لأيام قليله . عاد فلم يجد مصطفى . لشهور لم يعد مصطفى . في كل مره يحسبه الجرسون حزينا . « ما زلت تسأل عن مصطفى » . يقول الجرسون . لا يعرف الجرسون سر جهامة صياد الحمام . احكايات باهته كلها والرواية في الأصل مهزله يذير وقائعهم

— أنت اليوم غريب .

م يعنى . قالت .

— أنت تعرف « طلبة » العجوز ؟

— وأجلس معه كل يوم . هل أسمع طلبة ؟

ضحكت .

— كيف إذن تغلس معه كل يوم ؟

لم يرد . أتبع العجوز منذ قبل باسم بشرطى لأول مرة ، وما هى غيبو باسم

العجوز الذي جلس معه أكثر من دم . لم يعد يندهش . قالت لخصلى .

— ألم يقل لك شيئا ؟

— يتحدث معي في كل شيء . ماذا تعنين ؟

— يريد أن يتزوج أمي .

ضحك عاليا فتردد الصدى في العربة المظلمة كأنه طرقات النحاس في كهف .

قال :

— هن تعرفين موسى الشرطى ؟

— أجل .

— أخبرني اليوم طلبة العجوز أنه يريد أن يتزوج من قمر .

تعلقت بكفيه كقطعه . كانت صادقه حتى أنه سمع دفقات قلبها وهى تقول .

— أريد أن أتزوجك .

برغت . رآها بمامة سعيدة . كاد يضحك فأحس بالأسف . قال .

— طلبة العجوز يقول أن قمر ترفض الزواج من موسى . الشرطى .

تركت كتفيه . تراجعت . قالت كأنها تحدث نفسها .

— أمي تقول أن أبي سيعود .

خرجنا من العربة بفكر كلالها في شيء يقوله بآخر قبل الفراق .

— هل ترينى قاسيا ؟

قال قبلها أب . لم تسمع لأشياء قالت .

٨٥

— إنك منذ سنوات لا تصطاد .

— لكني سأصطاد يوما .

قالت .

— هل تعرف كم ينامه أصدبتها ؟

لم يكذب يندهش للمرة الرابعة في يوم واحد حتى تابعت .

— إننا نحصى عدد حبات القمح والأذرة قبل أن نبيعها كل ليلة . نحسبها حتى

الصباح .

وضحكت وعاد اليوم الى ذهنه من أوله . كانت المصاييح المعلقة أسفل

سقف الرصيف قد أضيئت فأدرك أن الليل قد دخل . لا بد أن حوله ظلاما

بحق . قالت وهى تتبعد .

— أنت صياد ماهر فحسب الثعبان من أول مرة . سأراك غدا .

لم يرد . لم يعرف كيف فارقه ولا أى طريق سلك . لماذا قالت سأراك غدا رغم

قسوته . ؟ قالتها مرتين ، وهى لم تقلها على طول ما عرفها من قبل مرة ثم هاهو

الغد يكاد يصرح ولم تظهر . لقد قبل الثعبان وهض ولا يجدها واقفه جواره كما

حدث أمس حين قتل الثعبان !

لا يسمع الآن صوتها الماهر والكون لم يعد يتحر .

○ ○ ينظف ثيابه بما علق بها من تراب . يعنى إصلاحه حول كتفه .

يرجع يندبته الى أعلى بالمركبة اللاذقيه . سيحدها بعد قليل . يقرب لنفسه .

يلكر أنه فوق رصيف القصب . دائما هى فوق رصيف الحبوب . أمس كانت

صدفه . قتل ثعبانا اليوم يمسك بعصفور على نفس الرصيف ، ويذا في نفس

المكان . صدفة أيضا . أجل . أن يقتل ثعبانين في يومين متتاليين بنفس الطريقة

صدفه . لا يمكن ان يكون صياد ثعبانين . لكن العصفور في اليومين م تحمل

الصفحة قرب غرفته بيوي الثيور وسط الليل من أهل السفح ، ويستمتع لصوت اصطدام فطرات البول بأرض الشارع وهو يقطع يوم الليل ! . وعلى طول المذنب والقرى والقرى التي جرى فيها تبول فوق الأرض وسط الليل والهدار . تحت الشمس والقمر . رأى في الظلام بوله بارقا كالتيهومان ورأه أبيض . ورأه أحمر . وكان يعرف أنه سيحالي من ذلك فيما بعد . انقذت الزواج حين خليت شقة في المنزل فاضطر ترك السفح . لكنه لم يقطع عن عادته خلال الصيد .

يتجه بسرعة ليقفز من فوق رصيف القصب الذي أخذت من جانيه العربات اليوم . يريد أن يهصد عربة فريه بين الأرصفة . سيخلق بابا عليه ويتبول . لن يفعلها في الخلاء مرة أخرى .

يتراجع فرعا رافعا ذراعيه لا يسري إلا وهو ساقط فوق الأرض على ظهره . ليس هذا الذي وقف على صدره بقديمه وزفر بجناحيه العريضين في وجهه وكاد يتقرو في فمه يمامة . يتابعه الآن طائرا أسفل سقف الرصيف مبتعدا . يراه يعود مرة أخرى أسود جهماء وفي سرعة يبدو منها أنه سيتقض فوقه ليم ما لم يفعله .

يقترّب قاردا به ليس أسود ولا جهماء . ينفض صياد الحمام بسرعة غير معط للدهشة عينا ولا شفة . صي يقين الآن أن ما حدث ليس بمعجزة . الطائر يمامة- يمامة تسبح تحت الرصيف ذاهبة آية . يمامة تقفح باب السرور . يلمد طائر الشرق إليها أو حال شرقه عددت جامعة بعد الصنى . إنها تتسبب يماما سيأتي يسبق الأيام . يضحك وبزى البديهة الحلقة حول كلفة . تنفجر دموعه وتنبأ مسحة ترق وجهه وتغلغل بحافته وهو يضعه بالبديهة حة الرش بعد أن فرغت حين قتل الصياد . يتابع الحمامة يحوط سلكية تخرج من عينيه . يسمح بخاطه ودموعه من فوق وجهه ورشيتيه . يجري خلف يمامة ناظرا إليها . يتنسى أن تعود . يريد أن يكون تحتها لحظة واحدة . ينسى البول والألم . تنسقط الظلال فيتركها . يريد الحمامة وهذه فرصته الوحيدة ليرى صوت الرنج ورفاق المكان . لو فاز

العصفور الصغير اهذه صدفه أيضا ؟! فوق رصيف القصب كان يصطاد حماما كثيرا ويدهش . دلت كان أيام الصيد . الآن يصطاد الثعالب ويقتني الجميع . تضيء مصابيح الرصيف فوقه فيعرف أن النهار يوشك على الذهاب . ماذا سيفعل في الظلام . وسط اليد بلا مصباح يعلقه فوق بنلقيته . أى يوم هذا الذي انقضى بلا طعام أو شراب . بلا حديث . بلا بشر . هل اعتفوا حقا إلى الأبد ؟ لا يصدق حتى لأن أنه لم يرى أحدا . كيف نسي أن يأكل ما أعدته به روحته ووضعه بأغلاله . أه منها وادعة العينين . تقول زنه لا يصطاد ، ولا تنسى أن تضع الطعام . تدعه كشىء غثين وتظفر اليه بعينين دامتتين . أى عذاب ؟ . لماذا يكون على الصيد أن يتدثر دائما بالصبر ؟ لماذا يطول لصبر فيبدو كأنه صابر الحياه ؟

يهتز جسمه يعرف أن البندقيه تهتز بين يديه . إنه يسعل . قالت أن اليد شديد . وهو يحس الآن حفا . ها هو جسمه يتخلله . آن لصياد الحمام أن يستريح . آن لصياد الحمام أن يستريح . ضوء المصابيح المشاحب يرهق عينيه . يزل البندقيه ويضعها على كتفه . يخرج من الخلاء غطيه من الصوف للرأس والوجه معا ويرتديه . يسرع الخطى وهو يسمح الخفاط المثلث من أهة تمديد له . سيخرج من الباب لذي دخل منه أول مرة . يسرى زحاما فوق كوبري التاريخ وحوله من العربات والثرود . في الشتاء لا ينتظم عمر الاسكندرية ولا يترها ، في الصيف وجهها يشوه . لكنه لم يره رؤية حقة . دائما خلف الأشياء . الصيد جمعه في المؤخرة . لعله ليس الصيد . لا يريد أن يعرف فيمعجر . شئىء ما يؤله . يجعل أسنانه تضرس . يكاد يصحره . ليس اليد . ليس لخرن . كيف غاته أن يتبول ؟ كيف حبس البول كل هذا الوقت . لقد أحس بارغبه في الضحى وانتهى إلى إحدى العربات . يتذكر الآن أنه لم يدخل العربة ولم يتبول . كيف تمنح البخورات الحادة في الحالب وجرى البول ولم يشعر بها ؟ عادته القديمة السيئه في أن يتبول في الخلاء هى سبب هذا الألم . آجن . كان رغم وجود دورة مياه فوق

بها سبيها لقمع وهند وانشرطي والعجزز . سيمودون . ستيكي زوجته إذ تعود
البهجة لعيني زوجها . خمسة أعوام من الحبسة ليست بالأمر السهل على ريس في
قلبه دم سائخ . صياد لا يعرف إلا الصيد . صياد لا يدر أن ينظر إلى قدميه .

تقف الإمامة أسفل السقف وهو بعد لم يصل إليها . ما يكاد يقترب حتى
تطير بقرة غاردة جنبها عائده فتصبح خلفه . ياغته فتم يئأس . لا يدر الآن إلا
أن يبقى الوميض الأخير لنهار قليلا . نور مصابيح السقف عجوز وهو لم يحضر
معه مصباحا يديه . تقف الإمامة من جديد وهو يلهث للحاق بها . يقرر أن
يصوب إليها طائرة لو عادت . فليركز كل حواسه في أن يطلق بندقيته في اللحظة
التي لا يعرفه الزمن ، ولا يتركها الظلم ! ولن يفشل أو تخونه قدرته . يقف ناظرا
إلى الإمامة . يتخوض بترقب عمر . الإمامة اللعينة لا تعود هذه المرة . تطير إلى ناحية
رصيف الباشا . يتابعها محسورا . هـ يجرى ورلها عبر القضبان والأرصفة .
والآن ؟ لكنه لن يستطيع تركها . إذا لم يوقع بها لن يأتي أبدا بام . آه . ماذا تريد
أن تفعل به ؟ والليل تقيل الوجه تسبقه أنفاسه السوداء . تقف الإمامة تحت سقف
رصيف الباشا عند حافة إحدى اعراض العاليه ورلها من بعيد . ما يزال صياد
الإمام حاد النظر . ألم يقتل الثعبان منذ قليل . ضوء الفسق ما يزال يساعده .
تقرر من فوق الرصيف . عيناه معلقتان بها وقدماه تتفرغان فوق القضبان ولا
تخطفان . يذكر صياد الإمام أن ذلك لم يحدث له من قبل غير مرة واحدة . لم تقف
الإمامة فوق صدره كما فعلت هذه . لم تسقطه فوق الأرض . أتعبته كثيرا وهي تطير
بين الأرصفة . دخل اللببة معها تحديا . قال له « لا تتحرك » أمسك الغلالة
وانظرني سأحضرها حية . لن تكون لغويك » . يكاد يتصرع . ماذا قال الشرطي
الذين أول مرة . لم يقف . حين اغلالة وخلفه يكاد يسقط بها . كان يريد
الإمامة . ينسى صياد الإمام من علمه الصيد ومن سأله السؤال الأخير . الصورة
لجمله للوجه الذي تعود تجري أمامه . هو الذي قال « أنت كبير تصطاد الإمام
وأنا صغير أصطاد العصافير » هو الذي تابعه حاملا الغلالة الكاكي صغيرا يتابعه

البيضاء فوق أرض سوداء . كان صياد الإمام يطارد الإمامة وقلبه مضطرب عليه أن
يتعر خلفه . لم يحب لتيابه البيضاء أن تتسخ ، ولا لوجهه الذي أن يخرج .

ما يكاد يقترب قليلا من الرصيف حتى تطير الإمامة سامحة تحت
السقف . يصعد الرصيف بصعوبة . يقف يتابعها . يقرر أن ينتظرها . يعرف
أنها ستعود . لقد دخلت اللعبة فيما يبدو عارقة بأصوبها . لكن الوجه الجميل مثل
نور الصباح يطير مع الإمامة ناظرا إليه !



— قلت لا نأخذ

—

— قلت لن يصطاد . صحته لا تتحمل الجرد أو الحر .

—

— صار يكره اندرسه .

ولا يدر . لا يدر على تركه . يأخذ عتوة وانطلق فرحان . تسقط الإمامة فيتمشي أن
لا يكون السنود بعيدا حتى لا يرهق الطفل الجري خلفها . لكن كثيرا ما تسقط
الإمامة على رصيف غير الذي أصابها قوه فيسبقه ويفتر بلا خوف فوق القضبان ،
ويجري عائدا بها ضاحكا ولا يشكو . يقول إنه يريد إمامة حية تبض في البيت
وتفقس . يقول هو « أنت تريد أثنتين إذن . » يقول « تكفي واحدة » .
يفضحك صياد الإمام ولا يفكر أن يشتري له إمامة حية . لماذا وهو صياد ؟



يسمع صوت اصطفاق جناحي الإمامة قويا وهي تمر فوقه كأنها طائرة !

صعداها باسقف

طارت عائده خلفه ومن فوق رأسه . لقد عرفت الجاهل الموت الآن ولن تتركه يفتلها . يا لصياد الفصام . يا لصياد الشمس . لكنه يضع حبه الرش الأخرى .

آه . بعد خمس سنوات يطلق الرش في الهواء . لكنه لم يخطب حين قتل الشيطان . يحس بحجمه يستعمل . يخلع عصه الرأس والوجه يلتقي به فوق الأرض بغيظ . يمد يده بعيدا يمس اليد الطرية لطفل الجميل . ينظر فلا يراه . تتحرك الملعوق تحت الاجفان . يعرف صيد الجاهل الآن أن الدموع تختلف ويختلف الكاء . لكنه يسكني لأجل مرة بحق . كيف لم يبك ذلك يوم الدين ؟



— ماذا ستفعل اليوم ؟

كانت تسكني وهو خارج للصيد فم يرد .

— من يدف الولد ؟

صارت تقرب صيدها بكتفها ثم طلمت صيدها كثيرا . لكنه خرج . اليوم بارد مثل تساقع مشي كثير بين القضبان وفوق الإصطف . قطارات كثيرة كانت تقف خلفها عربات مسطحة عديدة تحمل دبابات وعربات مصفحة ومدافع تأتي من كل أبواب المصفى . الجنود الذين يصحبونها يضحكون ويسمون . العمال الصميدة يحوسون . أنتبت الحرب منذ أسابيع لكن العتاد العسكري القادم من المياه لم يقطع . وكان هو قد حدث الطفل كثيرا عن أيام الحرب عن الحرب ، وانقطع الحديث . يذكر قوله « هل كل من يكره يحارب ؟ » ورده « كل من يحارب يكره » وسؤاله « هل حاربت يا أبي ؟ » وكيف قال لا .

يفيق . يستدير . يتابعها بعينه . يجري من جديد . الصورة لبيبة لطفل تجري أمامه حلف الجاهل التي تنتقل مرة أخرى إلى الرصيف التالي . يقف منقطع الانفاس . الشرطي اللعين يحفظ رقم القطار ويختفي . لماذا لم يجره أحد غير الشرطي بذلك ؟

قمر التي جاءت إلى انصفه يوم جاء . هـد والمجور ؟ . لماذا لم يسأله هو ؟

فكر في ذلك أكثر من مره وهو فوق السرير جوار زوجته التي صارت تعطي وجهها دائما . لكنه لم يسأل . هم الذين سأله سؤالا رخيصا عما إذا كان قد احصى حصص الأيام ؟

وكان هو الذي يحصى . اليوم عشر . اليوم عشرين . اليوم صيد وقير . اليوم بيع راح . ولم يغفر يوم بيامة حية ذكر أو أنثى .

يقفز من فوق الرصيف لي هياج . يجري عبر عائقه بأنه قد بقع الآن . لقد زحف الليل وانتشع آخر ضوء للضيق . إن لم يساعده نور الإصطف المريض سيساعده صوت رفيف جناحها . سيثقلها طائرة . تطير الجاهل تحت الرصيف فيصعد خلفها . تنقطع صورة الطفل الجميل . يشعر بها صارت خلفه . يكاد ينفجر في اتجاهين .

دائما كان يخشى عليه العلق والسقوط . يقف مشدودا إلى أرض الرصيف الصلبه . الجاهل تقف قريبة منه أسفل السقف ولا يزال قادرا على رؤيتها كله عمقه مكروه ويسمع أنفسهم هذيانا . « لابد أن يقتل أحدنا الآخر » يقول ويسمعه يقول . تضحك وتتسع عيناه مائرتين . منقارها الصغير يطول حتى يكاد يفتق له عين . يصوب البندقية ويطلق حبه الرش . يسمع صوت

لم يصعد شيئا ذلك اليوم . وهـ هو يتذكر . ظل أياما يحشي بين القضبان
وأنفسه لظارا إلى الأرض منتبها من شيء ليلواه . يرى الجنود والعتاد وهم
الناس يتحدثون عن الانتصار هذه المرة . ثم عاد بصطاد أكثر من ذي قبل ثم
انقطع إليهم . لم يعد يسرع من يحصى الطعام ولا زوجته التي كانت تسأل « كم
بعت اليوم » ؟ فيسبقة الطعام قائلا العدد ومقدمه اللحم . في كل يوم كان يقول
له « اضربا في صرف رجلها فلا تموت ! ويبدو صياد الجماع قاشلا ، يصوب فقط
إلى الجسد أو الرأس . يقول له « يا محبي لا أستطيع أن أصطاد لك بمائة حبة »
وهو يشأ أن يخلده عن انضمام كيف يكون . ولا عن الحياة وكيف أنها شيء غير
مضمون . كان يعرف أنه كلما أصطاد بمائة ، تمنى محبي أن تعيش فتخونه
وينزعها هو — الصياد — فيحول الجميع .



كانت الجماع قد طارت وعبرت الأجرس مرة أخرى في الاتجاه المعاكس
ومع رفيق جاحيا كالنظير . إنها تطوي المسطرة هذه الجماع الصمعية البعينة لم
يستطيع إلا أن يتابعها بأذنيه حزين . يصوب بندقته في الفضاء وراء العنوت
ويطلق حبة الرض التي لا يعرف أين أستخدمت .

يمود والألم الشبح الحاد كالسكين يتلوي في مفاثه ، فيدخل اقرب عربة
لرصيف لذي لا يعرف اسمه الآن . العربة مظلمة إلا من مستطيل مائل يعرض
الباب المفتوح ينسكب فوقه ضوء اصباح الياهن . يعلق باب العربة الحديدية
الثقيل مقداما الالم . يتجه إلى ركن في سباق مع اندفاع اللون . لقد صارت
العربة مظلمة تماما لكنه يعرف من صدق وقع قدميه طول العربة وعرضها ولأن
جنودها . كلما اقترب من اجناب ضعف الصوت والصدى . هذه حاسه لا
يملكها إلا صياد أو نص . يملك ازرار البنطلون بسرعة . لقد اغلق باب العربة لا

يدري لماذا . آه . أراد الاعتماد عن كل ربح . لن يعرض مثانته لليوم مرة أخرى .
س يترك ابول يدفع . سقطه قطرة قطرة وبشر باربار تشتعل في بحره . لن
يتخل عن عاتده . في المنتصف يطلقه فينبثق في قوس قوي له صوت حين يرتطم
بأرض العربة الحديدية وصدى ، يطير رذاذه مرتدا إلى حذاءيه . يريد سكبها
بطيخة محمأة من نار اريه في يد قاتل بلد . يشتدق للالم المضي ولمنع . وهـ هو
يوسع ما بين سابقه يادها قصه الاحق مثل كل شيء وتوسع به العربة المظلمة .
تنشق فيها شمس تملأها بالور .

ينتهي مرهقا فيتراجع إلى ركن آخر ، ولا يدري أنه صار يجلس شيئا عشيئا
حتى لامست مؤخرته أرض العربة الرطبة . وإنه يفرق سابقه على إرساءهما ويفتح
صدره يهد هواء أكثر برودة وأرطب . يضع البندقية نائمة جورة . لقد سقطت
مخلاة منه وهو يلهث وراء الجماع . ينسم . هل يرى أحد ابتسامة الآن ؟ .

يتساءل هل مضت الأيام حقا ؟ الشرطي اللعين قال أكثر من سبع
سوات . وهو — صياد الجماع — يصدق أنه لم يصطد جماعا منذ خمس سنوات .

اصطاد بعد الحادثه ثم اعطى الصيد . ما فائدة صيد لم يحصه ؟ . لكنه
باع وقبض الشئ ؟ إذن هي خمس سوات . يتسهم . يفكر في عدد أكثر ثباتا .
كم مضى من الستين منذ جاء إلى الاسكندرية ؟ خمس عشرة ؟ ست عشرة ؟ .
ذلك أيضا لم يعد ثابتا . هل جاء حق إلى الاسكندرية . . للمدينة التي ها أسم
فريد ، لحروفه جرس جميل منفرد ؟ . كيف ولم ينزل نبحها ؟ . يحاول أن يعرف
حتى أدرك ذلك أو أسس به . يفشل في العربة المتسعة بالور الغريب عن ماض
كان رايضا على صدره وأمام عيه . لا يتذكر إلا أنه عرف في جنوب المدينة قرية
الاسم أربعة قديتهم الأرض . أحبهم لكمم خذله في يوم أرادها حاشما . وإمرأة
انكسرت في عينيها جسارة المدن . ظنها بلسما وكرة أو تكون البلسم . ولم يدرك

إلا الآن أنها جرح شقه هو ، وحاولت علاجه بقوة لا تغلکها حتى الملائكة . لماذا فعلت ذلك المرأة العظيمة ؟؟ أى طهر دنسها . مسكين صياد الحمام لا يعرف القوة الخرافية التي جعلت منه جرحاً لزوجته . فهو الذي جعل الأفق الشمالي يتحول ويعطري الثلاثة الذين عرفهم في البئر . ألم يمدتهم ؟ . كان عليه أن يظل صامتا . حتى الذي وضعه في أرض هي في الحقيقة معلقة في الفضاء ، ما لبث أن هجر البئر والبحر وقيل طلاس . يحاول صياد الحمام أن يتذكر اسم زميله فلا يتأله . لقد زامه في العمل قبل الصيد وتجمع اسمه يتردد كل يوم ! . وزميله نفسه لم يتذكر اسمه في خطاب من خطابات . يا للغة الكريمة . تماماً لم يعرف — صياد الحمام — أسمى العجوز والشرطي . لم يفكر أن يسألها وكان يراها كل يوم . فلماذا ينتظر أن يتذكر له زميله اسمه . من أبطال هذه اللعبة . الرجال الذين لم يعرف اسماءهم أم النساء اللاتي لم ينسى اسمائهن ؟ . لكنه لا يتذكر اسم زوجته . حقا لا يتذكر اسم زوجته .

يزداد الضوء يكاد يحرق العينين ولا يرى إلا غواء . ترتقي ذراعاه جانبيه . يميل رأسه على صدره . لا ترددين يا زوجتي الدوبية للطفل الآخر أن يتعلم الصيد . أتني لم أعلم الأول لو تعرفين . كم أنت حلم غريب .

يقرر أن ينهض ويخرج من أقرب باب عائداً إلى زوجته أسبق من الهواء والضوء ، باكياً بين يديها ، مقبلاً خديها للفتحين ، مهدداً روحها ، ساكياً على صدرها بحار حنان مسجوه ، خارجاً من ليله القدر ، معبداً لعينها حراشها ، ولوجهها تضارته ، ولشعرها بهاء ، جالسا معها فوق سطح يفازلك النجوم ، ويعدان بايديهما السحب من تحت القمر ومن فوق شدة ، واصل أيامه بأيام كان يعلم أن رايها . لكنه يشعر بحاجة إلى أن يتصدق أكثر ، ويشرب من الضوء الذي يملأ العربة .

بطيخاً بطيخاً يتصدد شاحصاً بعينه في الفراغ الواسع . تتسلل يهدوء إلى جسمه قوة عارمة ويخمد بصرو . لا يرى إلا ثياباً بيضاء تخطط بذياب سوداء تخطط بدم وتبغتر وسط ربح تأتي من كل الزاكن ، وتصنع في تبعها أشكالا مفرعة لطيور ذات أجنحة من شعر ، وحيوانات ذات مناقير ، ورجال يوجه أطفال ، وأطفال عذرة ، ونساء تلتصق ظهورهن بظهور الرجال ويثبون ككائن واحد معذب يلوح — بأباده الأريه المنقسمة في التاحيتين برغبة أزيله أن تلمس بعضها بعضاً وتقهقر . وهو — صياد الحمام — يحاول أن يحاور الكائن الخرافي فيقبل ، ولا يعرف كيف يأتيه . ثم يتحول ذلك كله إلى أعداد وأعداد غير مفهومه ، وما لبثت المشهد المفزع أن يختفي .

يقرر أن يقص رؤيته على زوجته . يسألها أميها بشجاعه ، ثم يصحبها إلى شاطئ المكس القريب لأول مرة بعد أن انقطع عنه ، ويريان الرجال والنساء والأطفال يسبحون مع الخيل والخمير ، ويتابعان أسراب النورس . وبعد أن يرحل الجميع يتأهنا ضوء القنار وهو يكشف من بعيد قوس ماء سحري الضوء تنفخ فوقه الاسماك التي كانت نائمة بيضاء مندشه فرحة متألله ، ويعدان يحكيان للحجران حكاية سمك الليل الذي أمواجه ضوء الساحل ، فلا يصدقها أحد ، ولا يتعلمان عن الحديث .

يتمنى صياد الحمام أن يفعل ذلك حقا ، ولا يتألي تراجع القوه التي كانت قد تسلمت اليه بنفس الهدوء الخادع الذي أقبلت به ، وأن العربيه مبهرة الضوء صارت شيئا قشيبا تغلظ مع تراجع قوته حتى أنها صارت الآن باردة باردة .

انتهت

١٩٨٩

صدر للمؤلف

- في الصيف السابع والستين رواية دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧٩
- ليلة العشق والدم رواية مطبوعات القاهرة ١٩٨٢
- مشاهد صغرى حول سور كبير مجموعة قصص وزارة الثقافة سوريا ١٩٨٢
- المسافات رواية دار المستقبل العرب القاهرة ١٩٨٣
- تحت الطبع
- الشجرة والمصائر مجموعة قصص
- بيت الياهمين رواية

« كان بحاجة إلى أن يشرب من هراء عذب . يمشي تحت شمس هادئة . يخرج
الشوك من لحمه . يعصر قلبه بماه زهر الزمان . يجلو عينه بنوء قمر . ولو كان
يستطيع العيش تحت ماء البحر لتقل . فالأضواء التي تنسكب من المصابيح
البيضاء فوق الموج الأسود بالليل ، وتنعكس بية كخروط الذهب ، لابد تجعل
الحياة تحت الماء مليئة بالمرح ، والغواء النقي القادم من البحر لابد أنفاص قوم
طينين ، وأفضل الماء لن يبحث عن أمه . سيدلونه عليها إن كانت هناك ، أو
يميدونه إلى الشاطئ ويقولون كيف نجدها بسلام . لم يكن سهلا أن ينسى ولكن
كان عليه أن يقل ،

هذا هو صياد النجم الذي وصل الإسكندرية في زمن التحزن فيه بساط طائر
وبساط مفروش وبينهما مقاعد كثيرة عالية . إنها قصة البحث المفضي . والكاتب
الذي عرفناه « عيفا » في « ليلة المشق والدم » و « المسافات » يبدو هنا متأملا
كأنما يمش نغمة الإرتياح . إن « الصياد والنجم » عميقة الصلة بالروايتين السابقتين .
تدور أيضا في الإسكندرية التي لا يعرفها أحد ، وتتساهد مظهرها عن السؤال
الكبير . كيف تمر السنين فجأة بمرورها ولا نراها ...

دار المستقبل العربي

٤٦ شارع بيروت . مصر الجديدة

ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة

قصر صفي
٢٠٠٢

عالم الفكرة



عالم الفكر



المزيد من الكتب يرجى زيارتنا على هذا المنتدى

montadaali.ahlamontada.com

مع تحياتي : علي مولانا

أو محرك البحث جوجل .. أكتب

منتدى الكتب العربية والمعرية